محراب الشهادة

ملف خاص عن أمير المؤمنين
الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

قصيدة: مصرع الإمام علي(ع)
صادق الشيخ محمد علي اليعقوبي ٤
كشف النقاب عن استشهاد الإمام علي(ع) في المحراب
د. حسن الحكيم ٦
ليلة رمضانية مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)
طالب علي الشرقي ١٣
قصيدة السيد مهدي القزويني في حق أمير المؤمنين(ع)
د. حسن الخاقاني ٢٠
الابتكار في كلام الإمام علي(ع)
م. م. عباس علي الفحام ٢٦

مصرع الإمام علي(ع)

• صادق الشيخ محمد علي اليعقوبي

نـوبٌ تـذوبُ لهـا القلـوبُ وتجزعُ ... وتسـيلُ مِنهـا بالنجيـعِ الأدمـعُ
فلتنـزعُ الأرواحُ مـن أجسـامِها ... جَزعـاً فقـدْ أودى الكمـيُّ الأنـزعُ
صُـرِعَ الوصـيُ الطهـرُ فـي محرابِهِ ... عنـدَ الصـلاةِ فجـلَّ ذاكَ المَصْـرعُ
ويـحَ ابـن ملجـم إذ جَنى فـي فعلِهِ ... مـا لـمْ تكـنْ فعلـتْ ثمـودُ وتُبَّـعُ
فاعجـبْ لأشـقى العالميـنَ بسـيفه ... سـيفَ الإلـهِ بـهِ يُفـلُّ ويُقطـعُ
ولدى طلـوعِ الفجـرِ ضَـرَّجَ بالدما ... وَجهـاً يُشـقُّ الفجـرُ منـهُ وَيطلـعُ

* * * * *

هبـطَ الأميـنُ لفقـدِه بيـنَ السَّـما ... والأرضِ يَنعـى وَالعوالـمُ تسـمعُ
اليـومَ أعـلامُ الشـريعةِ نُكِّسـت ... وبحيـدرِ الكـرّارِ كانـتْ تُرفـعُ
اليـوم بحـرُ الجـودِ غُيِّـض بعدَمـا ... قـد طـابَ للـورّادِ منـهُ المَشـرعُ
اليـوم بـدرُ سَـما الهدايـةِ كُـوِّرتْ ... أنـوارُهُ فالأفـقُ داجٍ أسـفعُ
اليـوم أركانُ الهـدى قـدْ هُدِّمـتْ ... ولقدْ هـوى حصـنُ الرشـادِ الأمنعُ
فقـدتْ بـهِ الأيتـامُ أرأَفَ والـدٍ ... تـأوي لـهُ فـي النائبـاتِ وَتفـزعُ
فكأنّهـا فـي عهـدِهِ زهـرُ الربـى ... ونـداه صَـوْب غمامـةٍ لا تُقلِـعُ

قـرَّتْ عيـونُ أولـي الضـلالِ بقتلِـهِ والرشـدُ بـاتَ مؤرَقـاً لا يهجـعُ

* * * * *

هـوَ بعـدَ أحمد خير مـن وَطأ الثرى وأجـلّ مـن فـوقِ السـماءِ وأرفـعُ
تـاللهِ لـولا حيـدرٌ وجهـادُهُ مـا لاحَ نهـجٌ للشـريعةِ مَهيـعُ
إن يدعـهُ الإسـلامُ يـومَ مُلمَّـةٍ ألفـاهُ أولَ مـن يجيـبُ ويسـرعُ
مَن ذا الذي نصرَ الرسولَ فأصبحتْ قَسـراً تـذلّ لـهُ قريـشٌ وَتخضـعُ
ومـن الـذي فـي فتـح مكـةَ حطَّـمَ الأصنـامَ يُسـجَدُ نحوهُـنَّ ويُركـع
عقـدَ الإلـهُ لـهُ بخـمٍّ بَيعـةً قـد قـامَ خيـرُ الرسـلِ فيهـا يَصـدعُ
عَجبـاً لأقـوامٍ أضاعـوا حقَّـهُ واللهُ يشـهدُ والملائـكُ أجمـعُ
نبـذوهُ والقـرآنُ بعـدَ محمـدٍ وهُمـا لعمـرك ثقلُـه المسـتودعُ

* * * * *

فالثـأرُ يـا ابـنَ العسـكري فإنمـا أنـتَ المعـدُ لـهُ وأنـتَ المرجـعُ
حكِّـم سـيوفكَ بالطغـاةِ فإنّهـم صَنعـوا مـعَ الإسـلامِ مـا لا يُصنـعُ
عاثـتْ بأمـةِ جدّكـم أعداؤُهـا فغـدَتْ بـأرزاءِ العـدو تُـروّعُ
حملـتْ مـن الآلامِ مـا لـو مسّـه رَضـوى لـكادَ مـن الأسـى يَتصدعُ
ولقـدْ تجهّـمَ أفقُهـا بِغياهـبٍ فمَتـى نَـرى تلـكَ الغياهـب تقشـعُ
وَمتـى تهـبّ إلـى الوغـى أبناؤُهـا عَنهـا تـذودُ الطامعيـنَ وَتدفـعُ
ليعُـود مجدهـم التليـد موطـداً مـن بعدِمـا قـد كانَ وهـو مُضيَّـعُ

كشف النقاب

عن استشهاد الإمام علي(٤) في المحراب

• د. حسن الحكيم

ينابيع لقي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ربه شهيداً صابراً، وكان الشهيد الأول من أئمة آل البيت عليهم السلام، أبا الشهداء في حصيلة الذين قدموا أنفسهم فداء للإسلام من سلالة النبوة، وقد اقتفى الأئمة الهادون المهديون (سلام الله عليهم) طريق الشهادة، سواء عن طريق السيف أو السم، وقد شاءت الأقدار أن يستشهد أمير المؤمنين عليه السلام، والصلاة بين شفتيه، بعد أن امتدت إليه يد الغدر والخيانة، وهو يردد (الله أكبر) تلك الشهادة التي تمناها في ميدان الحرب، وفي سوح الجهاد، دفاعاً عن الإسلام، وفي سبيل الله، ولكن الأقدار شاءت أن تكون هذه الشهادة على يد خارجي آثم هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي. وحينما تلقى ضربته الآثمة قال: (فزت ورب الكعبة)، وهذه كلمة احتضار المؤمن الواثق من المصير، لأنه عليه السلام لما نزلت الآية الكريمة: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)(١) فقال الإمام علي عليه السلام: (نزلت فينا).

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه: يعني علياً وحمزة وجعفر، فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة وجعفراً، ومنهم من ينتظر يعني علياً،

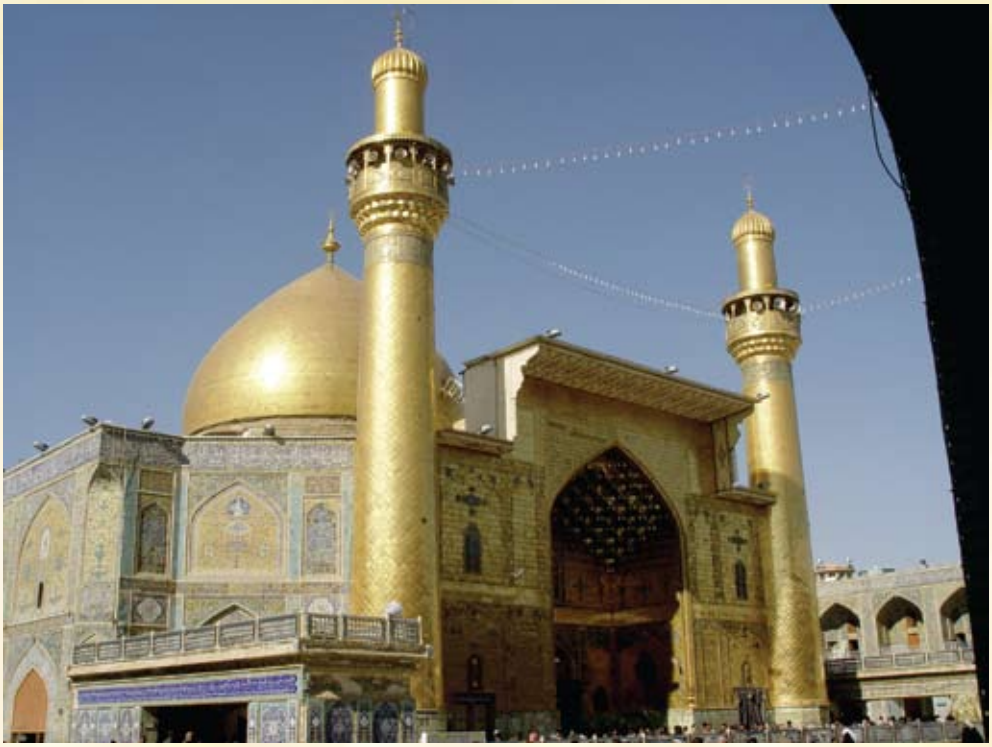

كان ينتظر أجله والوفاء لله بالعهد، والشهادة في سبيل الله، فوالله لقد رزق الشهادة)[٣].

وكان عليه السلام لا يبالي بالموت سواء وقع عليه أو وقع الموت عليه، فيقول:

أشدد حيازيمك للموت
فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذا حل بواديكا
كما أضحكك الدهر
كذاك الدهر يبكيكا

وقد حاك الخوارج مؤامرة دنيئة استهدفت أمير المؤمنين عليه السلام، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص في ليلة واحدة، واتفق على الرأي عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد التميمي، وعمرو بن كثير التميمي، على تنفيذ المؤامرة في اجتماع عقدوه في الكعبة الشريفة، بعد أن ترحموا على قتلى الخوارج في النهروان، وقالوا: فلو إنا شرينا أنفسنا لله، فأتينا أئمة الضلال، وطلبنا غرتهم، فأرحنا منهم العباد والبلاد وثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان[٤]. فقال بن ملجم: أنا لكم بعلي بن أبي طالب، وقال البرك: وأنا لكم بمعاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. وتعاهد المتآمرون على أن لا ينكص رجل عن صاحبه الذي سمي، ويتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه[٥].

لقد توجه عبد الرحمن بن ملجم نحو مدينة الكوفة لتنفيذ مهمته، والتقى بالخوارج فيها، وقد كاتمهم ما يريد، وأخذ يزورهم ويزورونه كما يقول ابن الجوزي في (المنتظم) فزار ذات يوم جماعة من خوارج تيم الرباب، فوجد عندهم قطام بنت الأخضر بن شجنة بن عدي، التي قتل أبوها وأخوها في يوم النهروان، فوقعت في قلبه لجمالها

محراب الشهادة

الرائع[٦]. وعندها اتفق الطرفان على الزواج بمهر مقداره ثلاثة آلاف درهم، وقتل أمير المؤمنين عليه السلام.

وعند ذلك أفصح ابن ملجم عن هدفه الذي جاء من أجله إلى الكوفة بقوله: (والله ما جاءني إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب، وقد أتيت ما سألت)[٧]، وتكشف المحاورة بين ابن ملجم وقطام عن وجود أكثر من مخطط تآمري لقتل أمير المؤمنين عليه السلام. ولدى تتبعنا لخيوط هذا التآمر الخطير، وجدناه يدور في ثلاثة محاور أساسية هي:

١- تآمر في مكة.
٢- تآمر في الكوفة.
٣- تآمر في الشام.

فقد كان التآمر في مكة واضحاً، وقد كلف ابن ملجم بتنفيذه، وأن التآمر الآخر في الكوفة، فقد كشفته قطام في حديثها لابن ملجم، ويبدو أنه لم يكن بين الفريقين اتفاق مسبق، أو تفاهم في التنفيذ، سوى أن العقيدة الخارجية قد ربطت بينهما، وعند وصول ابن ملجم للكوفة ساعد على توحيد وجهتي النظر بين الفريقين، ومن المحتمل أن لعملاء معاوية بن أبي سفيان في الكوفة دوراً في هذا التآمر، فانضموا إليه، فقد التقى ابن ملجم ببعض الرجال المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام، كشبيب بن بجرة الأشجعي، والأشعث بن قيس الكندي، واتفق معهما على تنفيذ جريمته، وقد جعلوا من مسجد ابن الأشعث مقراً للتآمر.

ومن المحتمل أن معاوية بعد موقعة صفين قد دبر مؤامرة لاغتيال الإمام علي عليه السلام واستقطب الأشعث إلى تدبيره هذا، ليكون طرفاً للتنفيذ ولما وقف على خطة الخوارج انضم إليها، وهيأ مسجده مكاناً للتآمر، وقد ألمحت أبيات أبي الأسود الدؤلي إلى ضلوع معاوية في مخطط التآمر بقوله[٨]:

ألا أبلغ معاوية بن حرب
فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها
ومن قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين
رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بأنك خيرهم حسباً ودينا

ونسب أبو الفرج الاصفهاني في هذه الأبيات لأم الهيثم بنت الأسود النخعية[٩]. ولكن معظم المصادر تنسب هذه الأبيات لأبي الأسود الدؤلي، وتعطي الأبيات المذكورة أهمية تاريخية كبيرة، لأن قائلها قد عاصر الأحداث زمانياً ومكانياً، ويستفاد منها وجود مخطط أموي لاغتيال أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة الكوفة، وربما لم يكن للرجال المكلفين بتنفيذه صلة مباشرة بالذين نفذوه ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، لأن الخوارج قد عرفوا بحقدهم على الإمام علي عليه السلام، وهذا مما دفعهم على تنفيذ جريمتهم في تلك الليلة، وفي مقدمتهم قطام بين

الأخضر التي قالت لابن ملجم: فإن أنت قتلت علياً شفيت نفسي، وهنأك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا، وقد بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فأخبرته بالاتفاق وطلبت منه مساعدة ابن ملجم، وأشار ابن أبي مياس الفزاري إلى اتفاق قطام مع ابن ملجم بقوله[10]:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة
وكم قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وضرب عي بالحسام المصمم
ولا مهم أغلى من علي وإن غلا
ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

ويبدو أن الذين مهدوا الطريق لعبد الرحمن بن ملجم في تنفيذ جريمته كانوا ثلاثة أشخاص هم:

١ـ شبيب بن بجرة الأشجعي.
٢ـ قطام بنت الأخضر بن شجنة.
٣ـ الأشعث بن قيس الكندي.

ولما التقى ابن ملجم بشبيب بن بجرة قال له: (يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال: تساعدني في قتل علي بن أبي طالب، فقال له: يا ابن ملجم هبلتك الهبول، لقد جئت شيئاً إدّا، وكيف تقدر على ذلك؟ فأجابه ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم فإذا خرج لصلاة الفجر، فتكنا به فقتلناه، فإذا نحن قتلناه شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخل على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم، وقد ضربت عليها قبة، فقالا لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل[11].

وتشير المصادر إلى أن الاشعث بن قيس قد هدد الإمام علي عليه السلام بالقتل قبيل اتفاق قطام وابن ملجم يوم رد قنبراً خادم الإمام عليه السلام، وأدمى أنفه، فخرج إليه الإمام عليه السلام وقد أنّبه على فعله بقوله: (ما لي ولك يا أشعث، أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك)، ودخل الأشعث على أمير المؤمنين عليه السلام، فأغلظ له الإمام عليه السلام فعرض له الأشعث أن يفتك به، فقال عليه السلام: (أبالموت تهددني، فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي)[12].

ويبدو أن لكل من المتآمرين الثلاثة دور في جريمة الاغتيال ولكن التنفيذ المباشر وقع على عاتق عبد الرحمن بن ملجم، ولما أقدم ابن ملجم على تنفيذ جريمته النكراء، أرسل الأشعث ولده قيساً في الصباح إلى دار الإمام عليه السلام للوقوف على آخر الأخبار قائلاً له: أي بني انظر كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فأقبل قيس على الإمام عليه السلام، وتفحص حالته، فعاد إلى أبيه فأخبره بقوله: (رأيت عينيه داخلتين في رأسه)، فقال الأشعث: (عيني دميع ورب الكعبة)[13].

وقد أراد الأشعث من ذلك التأكد من نجاح عملية الاغتيال، بصفته أحد أقطابها البارزين، وتشير المصادر إلى أن ابن الأشعث هو الذي دفع ابن ملجم على تنفيذ الجريمة ليلة التاسعة عشر من شهر رمضان قائلاً له: (فضحك الصبح فقم)، فخرج ومعه شبيب بن بجرة، وقد جلسا مقابل السدة اتي يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام[14].

ويقول عبد الله بن محمد الأزدي:

محراب الشهادة

(إنه في تلك الليلة الشريفة التي هي إحدى ليالي القدر، وبها نفذ المتآمرون جريمتهم، ويبدو أن محاولتين أعدتا لتنفيذ الجريمة إن فشلت الأولى، فلابد للثانية أن تنجح، وكانتا على النحو الآتي:

الأولى: عند دخول الإمام عليه السلام مسجد الكوفة.

الثانية: عند سجود الإمام عليه السلام في الصلاة.

ولما خرج أمير المؤمنين عليه السلام من داره، ومعه المؤذن ابن النباح، وهو ينادي: (الصلاة، الصلاة)، وإذا بريق سيف وقائل يقول: (الحكم لله يا علي لا لك، ولا لأصحابك) ثم بريق سيف آخر، فما كان من الإمام عليه السلام، إلا وينادي: (لا يفوتنكم الرجل) عليه السلام. ويبدو أن هذه المحاولة قد وقعت قبيل دخول الإمام عليه السلام مسجد الكوفة.

وذكر إسماعيل بن راشد أن شبيب بن بجرة قد ضرب الإمام عليه السلام فأخطأه ووقعت الضربة في الطاق[١٧]. وعند فشل هذه المحاولة تقدم عبد الرحمن بن ملجم على تنفيذ المرحلة الثانية، ويقول أبو الفرج الاصفهاني: أثبت ابن ملجم ضربته في رأس أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شد الناس عليه من كل جانب حتى أخذوه، وهرب شبيب بن بجرة، ويقال: إنه قتله ابن عمه[١٨].

ويعتقد أن أدوار المخطط الإجرامي لاغتيال الإمام عليه السلام، وضع في دار الأشعث بن قيس على أن يقوم بالعملية شبيب بن بجرة، ويساعده في تنفيذها عبد الرحمن بن ملجم، وحدد مكان الاغتيال عند بوابة المسجد، ولما فشلت عملية ابن بجرة، كمن ابن ملجم للإمام عليه السلام، وضربه في أثناء الصلاته، ولما ألقي القبض عليه، أدخلوه على الإمام عليه السلام، فقال الإمام للحاضرين: (النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي)[١٩].

ويقول السيد ابن طباطبا: (إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا بني عبد المطلب، لا تجمعوا من كل صوب، تقول قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي) ثم قال عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام: (إذا أنا مت من ضربتي هذه، فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)[٢٠].

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتوقع الشهادة سواء كانت على يد الأمويين أو الخوارج، وكان يردد قوله: (واهاً لك) ويقصد بذلك لحيته التي ستخضب من دمه الطاهر، ويقول: (ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذا)[٢١]، ويقصد بذلك رأسه الشريف ولحيته الكريمة، ويقول الحاكم الحسكاني عند تفسيره لقوله تعالى: (إذ انبعث أشقاها)[٢٢]، بأن الإمام علياً عليه السلام سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (يا علي من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: صدقت، فمن أشقى الآخرين؟ قال عليه السلام: لا أدري يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: الذي يضربك على هذه كعاقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود)[٢٣].

وجاء في الحديث الشريف: (ألا إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إلا قتل

علي بن أبي طالب)[٢٤]. وكان الإمام علي عليه السلام يردد في حياته لفظ: (أشقى وأشقاكم) مؤكداً في ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أشار عليه السلام بقوله: (ما يحبس أشقاكم أن يجيء فيقتلني؟ اللهم قد سئمتهم وسئموني، فارحمهم مني وارحمني منهم)[٢٥]، وقد تلمس عليه السلام من بعض الكوفيين عداءً سافراً، وبغضاً مكشوفاً، ورصد تحركات الأشعث بن قيس، وشبيب بن بجرة، وقطام بنت الأخضر، وعبد الرحمن بن ملجم، وعملاء بني أمية منذ فراغه من موقعتي صفين والنهروان، حتى أطلق على بعض مساجد الكوفة لفظة (الملعونة) وذلك لجلوس أصحاب السوء فيها، وهم يحيكون الدسائس والمؤامرات ضده.

وقد أشار أحمد بن حنبل في حديثه لولده عبد الله عن أعداء أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (اعلم يا بني أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش عليه أعداؤه شيئاً مكروهاً فلم يجدوا، أو جاؤوا إليه وحاربوه وقاتلوه وخلعوه كيداً منهم له)[٢٦]، وأخيراً امتدت إليه يد الإثم والخيانة والغدر لأمير المؤمنين عليه السلام وأوصلته إلى الشهادة والخلود، وتقول بعض المصادر: أن الإمام علياً أخبر ولده الإمام الحسن عليه السلام في الليلة التي امتدت إليه يد الغدر في محراب الصلاة قائلاً: (إني بت الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس فسنح لي رسول الله فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: الله أبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم شراً لهم مني)[٢٧].

وهذه المؤشرات لها دلالة على شعور الإمام عليه السلام بالتآمر عليه سواء في مدينة الكوفة أو الشام أو في خارجهما، وكان عليه السلام إذا جلس في محراب الصلاة يبكي حتى تخضل لحيته بالدموع وهو يقول: (يا دنيا غري غيري)[٢٨].

ولما أقبل شهر رمضان من السنة الأربعين للهجرة، كان عليه السلام يفطر ليلة عند الحسن عليه السلام، وليلة عند ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار، فإذا أكل ما لا يزيد على ثلاث لقم يقول: (إنما هي ليلة أو ليلتان، ويأتي أمر الله وأنا خميص) فلم تمض إلا ليال قلائل حتى استشهد عليه السلام[٢٩].

وقد شاءت الأقدار أن يستشهد أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة القدر فقال: في ليلتين ثلاث وعشرين وإحدى وعشرين هي إحداهما، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (اطلب ليلة القدر في ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين)[٣٠].

وإذا رجحنا رواية الحادي والعشرين التي استشهد فيها أمير المؤمنين عليه السلام، فإنها فضيلة عظيمة انفرد بها أمير المؤمنين عليه السلام وقد أكد على رواية الحادي

والعشرين الإمام الشافعي، وهو مذهب الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري[٣١].

وقد أكد الإمام الحسن عليه السلام على هذه الرواية بقوله: (إن أمير المؤمنين عليه السلام استشهد في ليلة أنزل فيها القرآن)، وكان لما فرغ من دفن الإمام عليه السلام في أرض الغري، وقف خطيباً في مسجد الكوفة وقال عليه السلام: (ألا أنه قد مضي في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون، ولن يرى مثله الآخرون، من كان يقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، والله لقد توفى في هذه الليلة موسى بن عمران، ورفع فيها عيسى بن مريم، وأنزل القرآن، ألا أنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله)[٣٢]، وتؤكد خطبة الإمام الحسن عليه السلام على استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة القدر التي يرجح أنها الحقيقة والى ذلك ذهب السيد ابن طباطبا بقوله: (وهو المعول عليه)[٣٣].

وهكذا التقت ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في بيت الله الحرام بشهادته في ليلة القدر ببيت من بيوت الله المعظمة، فقد كانت بين البداية والنهاية مسيرة جهادية عظيمة، فرحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله عز وجل، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، ويبقى التاريخ مديناً لأمير المؤمنين عليه السلام في جهاده ومواقفه، ويبقى يكيل اللعنة على المجرمين وأعداء الدين إلى يوم يبعثون ■

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية:٢٣.
(٢) الحسكاني، شواهد التنزيل، ٢/١-٢.
(٣) المفيد، الإرشاد، ص١٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٣، السمعاني، الأنساب، ٣/٢٦.
(٤) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٩.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٥-٣٦.
(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ورقة ٧أ.
(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٦.
(٨) المسعودي، مروج الذهب، ٢/٢٩٣.
(٩) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ٤٣.
(١٠) نفس المصدر، ص٣٣.
(١١) نفس المصدر، ص٣٣.
(١٢) نفس المصدر، ص٣٤.
(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٧.
(١٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/١١٦.
(١٥)
(١٦) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٣-٣٥.
(١٧) نفس المصدر.
(١٨) نفس المصدر.
(١٩) نفس المصدر.
(٢٠) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٨٣.
(٢١) المفيد، الإرشاد، ص١٤.
(٢٢) سورة الشمس/ الآية:١١.
(٢٣) الحسكاني، شواهد التنزيل، ٢/٣٣٥.
(٢٤) نفس المصدر، ٢/٣٤٢.
(٢٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٤-٣٥، القالي، الذيل من الأمالي، ٣/١٧٠-١٧١.
(٢٦) القندوزي، ينابيع المودة، ٢/١١١.
(٢٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٦.
(٢٨) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص٥٢.
(٢٩) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٥٣.
(٣٠) الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/٥١٩.
(٣١) نفس المصدر، ١٠/٥١٨-٥١٩.

ليلة رمضانية*

مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)

في (التميز ـ الشهادة ـ الخلود)

• طالب علي الشرقي

ينابيع على ترانيم دعاء الترحيب بالشهر الفضيل، تنزع النفوس سرابيل الغفلة وتتجه صوب الرحمة راكعة ساجدة في طاعة الله الذي كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا. وفي غمرة الانصياع إلى نداء الحق تتوسل القلوب الدعاء وطلب المغفرة. وهكذا ديدنها ليل نهار حتى تفاجأ بالمصاب الجلل في يوم أفرغ التاريخ له ألف سفر وسفر ليسجل ما كان وما يكون. إنه تاريخك سيدي الذي وسع الماضي والحاضر والمستقبل.

وحيث تغلي مراجل الرغبة في الوقوف على أعتاب مجدك الذي لا يبارى يجد المرء نفسه أمام طود ليس إلى تسلقه من سبيل فيلجأ إلى الانحناء إجلالاً، واختلاس النظر إلى بعض ما حباك الله جل في علاه من منزلة وكرامات. فمن اللبنة الأولى في ذلك الصرح يقف النابه على دليل التميز فلقد خصك تبارك وتعالى بمنزلة لم يدركها غيرك، فجعل ولادتك ـ وحدك ـ في بيته المطهر. إنها البسملة الأولى في سفر عطاءات الباري إليك.

ويرى العارفون أن لفظ (علي) الذي إذا أطلق فإن الدنيا تقف إجلالاً وإكباراً

* ملخص من كتاب مخطوط للكاتب بعنوان: (خواطر ومقتبسات في الدين والأدب والحياة).

محراب الشهادة

لـه، وأن هـذه اللفظـة وحدهـا تكفـي لترسـم أمام العيون كل معاني الإنسانية وفضائل الحياة ومزاياها.

لـكل ذلـك ونحـن لـم نفتـح بعـد الصفحـة الأولى من كتاب الله الناطق، فكيـف إذا حاولنـا النظـر فـي صفـاء بصيرتـه وطهـارة وجدانـه وسـحر بيانه وعمـق إنسـانيته وحـرارة إيمانه وسـمو دعتـه ونصرتـه للمحـروم وللمظلـوم، وتعبده للحق وإلى آخر هذه السلسلة التي ليس لها آخر، فلقد جسد أمير المؤمنين عليه السلام القيم العليا كما أرادها الله سبحانه ودعا إليها رسوله صلى الله عليه وآله.

سـيدي أبا الحسـنين: لقد توسـطت عمـر الزمن فكنت كمـن كان يعيش من مبدئه ويفيض على أيامه نوراً وحكمة وإيماناً تجلى في الحكماء والمصلحين، وأشـرقت في نصفه الثانـي الممتد حتى آخر الزمـن حيث اللازمن، وكنت بين النـاس من آيـات الإعجاز حتـى اختلفوا فيك بدلاً من أن يختلفوا إليك فهلك فيك المبغضـون كمـا هلـك فيـك المغالون المتطرفون. وقد ارتضاك الذين منَّ الله عليهم برحمته وأسـبغ على عقولهم نعمة السداد والصواب، إماماً ومعلماً ووجدوا فيـك الكمـال بأعلـى مسـتوياته علـى الأرض بعد الرسول الكامل محمد صلى الله عليه وآله.

ولـو وضعنا للكمال حدوداً ومعاييراً - وإن اختلفنـا فـي جوهرهـا وصفاتهـا - فنجـد أن الإمام علي عليه السلام هـو المصداق الأمثـل لـكل المفاهيم التـي يعرف بها الكمال فلقد تمت فيه متطلبات النموذج الإنساني الفاضل مادياً ومعنوياً. فقد نال قسـطاً وافراً من العناية العليا في اختيار الرسـول محمـد صلى الله عليه وآله لاحتضانـه وتربيته وتعليمـه، وفي قدراته الجسـمية الخارقة وملكاتـه الفعلية المنتجبـة وفي ذكائه المتميـز، واتحـاده مـع رسـول الله في الإيمان المطلق التام.

إن هـذا الكيـان العظيـم وظفـه الإمـام عليه السلام لخدمة الدين الـذي صدع به رسـول الله صلى الله عليه وآله فـكان المجاهد الأول... ولم يقتصـر جهاده على سـاحات القتال بل جاهـد بكل وسـيلة تخدم الشـريعة الغراء قـولاً وعملاً، كما جاهد بالصبر والنصيحـة. وكان رسـول الله صلى الله عليه وآله يغتنم كل فرصـة ليقـول فـي علـي عليه السلام مـا يكشف حقيقته ويرفع قدره.

كل ذلك التكريم هـو ثمرة فاعلية صفـات الكمـال التـي يتفرد بهـا أمير المؤمنين والتي جعلت منه نبراساً للبشرية على مر العصور.

إن تلك الصفات يقتسمها معياران:

(الأول): يعتمـد السـيرة الذاتيـة بمحتواها الأخلاقي والإيماني.

(والثانـي): يعتمد القدرات الجسـمية والعقليـة. علـى أن هناك تداخـلاً جدلياً - أو هكذا ينبغي أن يكون - بين الأخلاق والإيمـان إلى حد يصعـب الفصل بينهما فهمـا رديفـان لا يفترقـان. قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: أكمل المؤمنين إيماناً أحسـنهم أخلاقاً.

وعلـى الرغـم مـن وضـوح الرؤيـة واسـتقامة الطريق، يحار الضيف من أي بـاب يدخل على سـمي الرحمن عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أمن باب معرفته عليه السلام لله جل جلاله؟!

فقد فطـر عليها، وتربى في أجوائها.

ولد في بيت الله ونشأ في البيت الذي تربى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أبي طالب رضي الله عنه محاطاً بالحنان والدعة وحسن التربية. وانتقل إلى بيت ابن عمه الرسول الكريم وكان صلى الله عليه وآله مهيئاً للنبوة وهو المثل الأعلى للكمال بعد الكمال المطلق (سبحانه وتعالى).

وقد تواترت الأخبار في أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنشأ علياً كما يريد وهو بالضرورة كما يريد الله سبحانه. قال أمير المؤمنين عليه السلام كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به.

كان عليه السلام يتحرى المناسبة للتعريف بالله وبيان قدرته، فينور العقول ويقرب العبد من خالقه ليرسخ قناعته العقلية وإيمانه الوجداني بالله العلي العظيم.

وفي نهج البلاغة أكثر من نص يتعرض فيه أمير المؤمنين إلى تمجيد الله تعالى وتنزيهه بما لم يثبت خلافه لحد الآن مع كل الصراعات الحضارية والفلسفية والفتوحات العلمية.

أو من باب علمه وذكائه؟!

وهو الذي تتلمذ لرسول الله صلى الله عليه وآله فعلمه جل علمه الذي علمه الله تعالى إياه حتى قال صلى الله عليه وآله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وأكد جمهور من المحدثين الرواية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الآية القرآنية الكريمة التي تقول (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) (سورة الرعد/ الآية:٤٣) إن الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام. وهو الذي قال: (سلوني...) معتمداً رصيداً معرفياً ليس لسواه مثله. قال عبد الله بن عباس: (أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأنه أعلمهم بالعشر الباقي).

كان الإمام عليه السلام يتمتع بذكاء مفرط ودقة متناهية في التعبير عما يريد إيصاله إلى الآخرين. وهذا كتاب نهج البلاغة يكشف هذه الحقيقة.

يقول جورج جرداق: (...من شروط الذكاء العلوي النادر هذا التسلسل المنطقي الذي تراه في النهج أنى اتجهت، وهذا التماسك بين الفكرة والفكرة حتى يكون كل منها نتيجة

طبيعية لما قبلها وعلة لما بعدها، وهو لاتساع مداه لا يستخدم لفظاً إلا وفيه ما يدعوك لأن تتأمل وتمعن في التأمل. ثم أنه نوّع البحث والوصف فأحكم في كل موضوع. والأمثلة على ذكائه وفطنته وغزارة علمه فهي من الشهرة بمكان ومنها أجوبته في حل معضلات المواريث والمشكلات الرياضية في قضية تقسيم الأرغفة والجمال السبعة عشر، وغيرها الكثير.

ولم يقتصر جهده العقلي على ناحية واحدة فهو يتحدث بمنطق الحكيم الخبير عن أحوال الدنيا وشؤون الناس، ويصف البرق والرعد والأرض والسماء ويصف خفايا الخلق في الخفاش والطاووس والنملة والجرادة. ويضع للمجتمع دساتير وللأخلاق قوانين ويبدع في التحدث عن خالق الكون وروائع الوجود.

هكذا يثبت الإمام عليه السلام تفرده في أدق المعارف عبر الزمن. ومن آثاره الريادية في العلوم المختلفة ما عرف عنه في مجال علم الفقه فهو أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام عيال عليه، وعلم التفسير فعنه أخذ ومنه فرّع، وعلم النحو الواضع الأول لأساسياته، وفي علوم اللغة من البلاغة والفصاحة والخطب وما جرى مجراها فقد كان مشرّعاً للفصاحة ومسناً للبلاغة وقد شهد له أعداؤه قبل أصحابه في ذلك.حتى الشعر كان له منه نصيب... وله تنسب الحكم، وكان للحكمة العلوية أبلغ الأثر في توجيه الثقافة الإسلامية. وإليه يرجع تأسيس علم الكلام وفلسفة الإلهيات في الإسلام.

أو باب زهده وقناعته: وهو الذي طلق الدنيا، وضرب أروع الأمثلة في الزهد والقناعة في طعامه ولباسه وفراشه وهو أمير المؤمنين وهو القائل: أأقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش.

حتى أن أحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه عليه السلام وهو خليفة المسلمين.

أو من باب تواضعه: فسلوكه ينطوي على رفض التكبر والتعالي وكان يخدم بيته فيحطب ويستسقي ويحمل ما يشتري في طرف ردائه. وكان يخدم ضيفه بنفسه.

أو من باب تقواه وعبادته: فهي عند أمير المؤمنين مزيج من الحب والتقديس لذات الله العزيز المجيد، والربط بين القيم التي جبل عليها وبين آلاء الرحمن التي تستحق التقدير والإكبار. وهي التعبير الشفاف عن العلاقة بين الوجود الصافي ونفسه الصافية، وأنها المعادلة التي تحكم تصرفاته اليومية الدائمة مع نفسه ومع الآخرين لا يعتورها تذبذب ولا تشوبها شائبة ضعف أو نفع، وميزانها التوافق بين حقيقة الاعتقاد ورضا الله سبحانه. إنها عبادة الأحرار كما يسميها سيد الأحرار أمير المؤمنين عليه السلام على أن عبادته عليه السلام بلغت حد الوصف، فمنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة.

أو من باب عدله: فقد كانت العدالة بعض كيانه وجزءاً من بنيانه وأصلاً من

طبعه، وهو العدل المحض في قضائه وأحكامه. لقد قال أحد المنصفين: (ليس غريباً أن يكون علي أعدل الناس بل الغريب أن لا يكونه).

وقد قال رسول الله ﷺ: (أقضاكم علي) وأثر عنه عليه السلام أنه أدخل في القضاء ما يعززه ولم يكن فيه، فهو أول من فرق بين الشهود وأول من وثق المحاضر بالتسجيل وأول من وضع صناديق الشكوى. كما أن وصاياه ورسائله إلى الولاة تكاد تدور حول محور واحد وهو العدل، وكان يأمر بالمساواة ويعمل بها. ويرى عليه السلام أن فضل السابقة في الإسلام هو عند الله، والدنيا معاش والناس في المعاش سواء. وهو أول من طبق الحكم بـ(من أين لك هذا). وكان يحسب اقتطاع الأرض بالقرابة والنفوذ في جملة المال المنهوب. وكان يرى أنه ما جاع فقير إلا بما متع به غني وإن كل نعمة موفورة إلى جانبها حق مضيع.

إن العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر رحمه الله أروع ما أنتجه عقل وقلب ومروءة وصدق إيمان، إنه منتهى مراقي العدل في الأرض. لقد سماه الكاتب القدير جورج جرداق بالوثيقة العلوية لحقوق الإنسان.

أو من باب صبره وتحمله: فإن صبره قد فاق التصور. وهو القائل: (يكون الصبر على قدر المصيبة) وقد برهن عملياً على عظيم قدرته على الصبر في مواجهة الأحداث الجسيمة التي حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم تفارقه والى يوم استشهاده. ولعل فترة خلافته كانت أشد وأقسى فقد ورد أنه قال: (وأغضيت عن القذى وشربت على الشجى وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من العلقم).

أو من باب شجاعته ومروءته: فإن شجاعته أكبر من معنى الشجاعة المألوف، إنها جزء من رسالة الإسلام وهي حصنها قال الشاعر:

بني الدين فاستقام ولولا
ضرب ماضيك ما استقام البناء

ومع هذا لم يؤشر على مشهد واحد من مشاهد بطولته أنه يمثل عدواناً.

أما مروءته وأخلاقه في الحرب فهي المثل الأعلى الذي ينشده المؤمنون الصادقون. لقد كان نبراساً للفروسية، شهماً ورعاً يترفع عن فعل الصغائر، ولا يحمل ضغينة على مخلوق. وكان يوصي جنوده بأن لا يبدأو بقتال ولا يجهزوا على جريح بل يوصيهم بإسعافه... وموقفه من مروان في معركة الجمل وعمرو بن العاص في معركة صفين وابن ملجم قاتله، لا ينظر لها في سيرة الفرسان سواء منهم من سبقه أو جاء بعده.

إن وراء هذه الصفات النبيلة ومزايا الفروسية العلوية العالية ثقة لا حدود لها بالنفس، إنها ثمرة الإيمان والاطمئنان لنبل العمل وصراحة الحق فيه.

وهناك نوافذ تتكفل بتسليط الضوء على بعض الجوانب من عالم أمير المؤمنين عليه السلام ويمكن أن نقف من خلالها على عظمة هذه الشخصية النادرة المحاطة برعاية الله ورسوله. وأولها يوم الومضة الأولى في شروق شمس الإمام في يوم الدار... حتى قال فيه النبي ﷺ: (إن هذا أخي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا).

محراب الشهادة

ويوم المؤاخاة قال له الرسول صلى الله عليه وآله: (أنت أخي في الدنيا والآخرة) وحين تقدم الشيخان لخطبة فاطمة عليها السلام ردهما النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: (إني أنتظر أمر السماء) ثم خطبها علي عليه السلام فزوجه إياها، إن هذا الزواج الميمون حقق امتداداً طبيعياً لمحمد صلى الله عليه وآله حيث جعل الله ذرية نبيه صلى الله عليه وآله من علي وفاطمة عليهما السلام.

ويوم الراية ذلك اليوم الذي تمنى أكثر الصحابة أن يكون قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه حين قال: (سأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله...) فكان علياً عليه السلام.

وحين خلفه الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة ولم يشركه في غزوة تبوك. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟) فقال صلى الله عليه وآله: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

وكان أمر الله قد نزل على رسوله صلى الله عليه وآله بآية التبليغ فكان ما كان وأصبح علي عليه السلام مولى كل مؤمن ومؤمنة...

يقول أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي. وقال ابن حجر في صواعقه: (وسبب ذلك: أن الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون من بعده مما ابتلي به علي وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به).

ولم يتمسكوا به، بل إن السياسة وحب السلطة حكمت بأن لا يصل الإمام علي عليه السلام إلى الخلافة نهائياً، وكانت الأدوات جاهزة والمخطط متقن لولا ثورة المسلمين على الخليفة عثمان بن عفان وإجبار الإمام علي عليه السلام على تولي الخلافة... ولم يستسلم الطامعون فدبروا الجمل وصفين، وكانوا وراء مؤامرة قتل الإمام بسيف الغدر والضلال. ألا شلت يد الشيطان الخبيث (عبد الرحمن ابن ملجم) الذي فقأ عين الاستقامة وأزهق روح الفضيلة وهد ركن الإيمان، وألحق بالناس خسارة كبرى ظهرت آثارها بعد رحيل أبي السبطين عليه السلام.

سيدي أمير المؤمنين: لقد أعدت للإسلام عافيته وأوضحت الطريق لمن يريد العدل والإنصاف فأكرمك الله بالشهادة وحقق لك الفوز في الدنيا والآخرة. فسلام عليك في كل حين. لقد فقدتك الإنسانية جمعاء فما أعظم المصيبة وأفد الخسارة. إنا لله وإنا إليه راجعون والعاقبة للمتقين.

وعلى ذكر العاقبة يحضرني قول الله تبارك وتعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (سورة البقرة/ الآية:٨٢).

وهذا هو الخلود في دار البقاء. وإذا كان للخلود معنى في الحياة الدنيا فلينظر الناظرون الخلود متحققاً على أرض الواقع ومتجسداً بمرقد

أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أظهرته الكرامات. المرقد الذي يعفر العظماء والقادة جباههم بتراب أرضه، ويحج المحبون من أقصى الأرض وأدناها. إنه روضة من رياض الجنة.

نصف قرن ونيف والأمويون يقطعون لسان من يذكر علياً عليه السلام بخير وقد سنوا سبّه على المنابر، ودفعوا الألوف من الدنانير الذهبية إلى من يلفق الأحاديث ضده أو ينسب الآيات القرآنية التي تنطوي على معاني الذم إليه. ومع كل هذا التجني ملأت فضائل أمير المؤمنين الخافقين، وأقض الله مضاجع الظالمين وأهان مراقدهم، وأعلى كلمة الحق ونور مرقد الوصي حتى أثار ذلك حفيظة الشاعر (محمد مجذوب) وهو من الشام من عاصمة معاوية، فقال كلمة الحق في قصيدة عامرة تقع من اثنين وخمسين بيتاً وقد اخترنا منها الأبيات الآتية:

أين القصور أبا يزيد ولهوها
والصافنات وزهوها والسؤدد
أين الدهاء نحرت عزته على
أعتاب دنيا سحرها لا ينفد
آثرت فانيها على الحق الذي
هو لو علمت على الزمان مخلد
تلك البهارج قد مضت لسبيلها
وبقيت وحدك عبرة تتجدد
هذا ضريحك لو بصرت ببؤسه
لأسال مدمعك المصير الأسود
كتل من الترب المهين بخربة
سكر الذباب بها فراح يعربد
أرأيت عاقبة الجموح ونزوة
أودى بلبك غيها المترصد
أغرتك بالدنيا فرحت تشنها
حرباً على الحق الصراح وتوقد
تعدو بها ظلماً على من حبه
دين وبغضته الشقاء السرمد
علم الهدى وإمام كل مطهر
ومثابة العلم الذي لا يجحد
ورثت شمائله براءة أحمد
فيكاد من برديه يشرق أحمد
أأبا يزيد وساء ذلك عترة
ماذا أقول وباب سمعك موصد
قم وارمق النجف الشريف بنظرة
يرتد طرفك وهو باك أرمد
تلك العظام أعز ربك قدرها
فتكاد لولا خوف ربك تعبد
أبداً يباكرها الوفود يحثها
من كل صوب شوقها المتوقد
نازعتها الدنيا ففزت بوردها
ثم انطوى كالحلم ذاك المورد
وسعت إلى الأخرى فأصبح ذكرها
في الخافقين وعطف ربك أخلد

المصادر:
(١) القرآن المجيد.
(٢) عز الدين ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة.
(٣) جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية.
(٤) محمد علي الموسوي الحمامي، المطالعات في مختلف المؤلفات.
(٥) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري.
(٦) عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي.
(٧) سليمان كتاني، الإمام علي نبراس ومتراس.
(٨) أحمد بن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة.
(٩) عبد الحسين الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب.

قصيدة السيد مهدي القزويني في حق أمير المؤمنين(ع)

نص وتحليل

• د. حسن الخاقاني
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

القصيدة:

يـا لائمـي تجنبـا التفنيـدا
قوم أتـى نص الكتـاب بحبهم

فلقـد تجنبت الحسـان الغيدا
فولاهـم قـد قـارن التوحيـدا

وصحوت من سكر الشباب ولهوه
فلقد عقـدت ولاي فيهم معلناً

لمـا رأيـت صفـاءه تنكيـدا
بـولاء حيـدرة فكنـت سـعيدا

ما شف قلبي حب هيفاء الدمى
صنـو النبـي وصهـره ووصيه

شـغفاً ولا رمت المـلاح الغيدا
نصـاً بفـرض ولائه مشـهودا

أبـداً ولا أوقفت صحبـي باكياً
هو علـة الإيجاد لولا شـخصه

من رسـم ربـع بالياً وجديدا
وعـلاه مـا كان الوجـود وجودا

كلا ولا أصغيت سـمعي مطرباً
قـد كان للـروح الأميـن معلماً

لحنيـن قمـري شـدا تغريـدا
لمـا تـردد حائـراً ترديـدا

لكنني أصبحت مشغوف الحشى
هو ذلك الشبح الذي في صفحة

فـي حـب آل محمـد معمودا
العـرش اسـتبان لآدم مرصودا

المانعيـن لمـا وراء ظهورهـم
هو جوهر النور الذي قد شـامه

والطيبيـن سـلالة وجـدودا
موسـى بسـينا فانثنى رعديدا

ومذ انجلى بصر الخليل وشاهد
الملكـوت كان بحزبــه معدودا
كم ســر قدس غامق فيه انطوى
فلذاك فيه اســتيقنوا المعبودا
هــو واجب هــو ممكن هــو أول
هــو آخــر قــد حيــر الموجودا
يــا جامع الأضداد فــي أوصافه
جلــت صفاتــك مبــدأ ومعيدا
لــم يفــرض الله الحجيج لبيته
لــو لــم تكن فــي بيتــه مولودا
للأنبيا في الســر كنت معاضداً
ومــع النبــي محمد مشــهودا
فلقتــل جالوت وهتــك جنوده
طالوت بســمكٍ قد دعــى داودا
ولكــم نصرت محمــداً بمواطن
فيهــا يعــاف الوالــد المولودا
من قــدّ عتبة وابــن ود ومرحباً
والعبدريــن وشــيبة ووليــدا

ومن استهان قريش في بطحائها
وملكتهــم وهم الملــوك عبيدا
ومن ذلل العــرب التي لولاه ما
ذلت ومــا الــوت لملــك جيدا
مــن أبهر الأملاك فــي حملاته
ولمــن تمــدح جبرئيل نشــيدا
(لا ســيف إلا ذو الفقار ولا فتى
إلا علــي) حيــث صــاد الصيدا
مــن راح يتلو في قريــش براءة
وســواه عنهــا قد غــدا مطرودا
ومن اغتدى في فتح خيبر مقدماً
وســواه كان الناكــص الرعديدا
ولكم كفــى الله القتال بســيفه
الإســلام يوم الخندق المشهودا
أردى بهــا عمــر بــن ود بضربة
قد شــيدت دين الهدى تشــييدا
أســنى من القمريــن كان وإنما
عميت عيــون معانديه جحودا

مقبرة آل القزويني التي تقع في محلة العمارة وفيها دفن الشاعر

محراب الشهادة

نفسي الفداء له إماماً صابراً
فقضى جميع حياته مجهودا
في طاعة الرحمن أفنى عمره
بل لم يزل في ذاته مكدودا
لم يلق من بعد النبي محمد
إلا الأذى والظلم والتنكيدا
حتى إذا انبعث الشقي وقد حكى
بعظم جرأته شقي ثمودا
وافاه في المحراب صبحاً ساجداً
ولكم أطال إلى الإله سجودا
فاسل مرهفه وهد بحده
حصناً على دين الهدى محدودا
فأصاب طلعته الشريفة خاضباً
منها كريمته دماً خنديدا
فهوى صريعاً ثم صلى قائلاً
قد فزت والله العظيم سعيدا
أرداه والإيمان في محرابه
وأصاب من دين النبي وريدا
في ليلة القدر التي قد شرفت
فيه خبا مصباحها الموقودا
تتنزل الأملاك فيها كلهم
وعليه كان سلامهم تعديدا
جاءت تشيع جسمه وتعود في
النفس الزكية للإله صعودا
يا ليلة نادى الأمين بفجرها
قتل الوصي أخو النبي شهيدا
وقد هدمت والله أركان الهدى
والعلم أمسى بابه مسدودا
والصوم من حزن عليه وجوبه
من حيث كان شهره مفقودا
وأمض ما يشجي النبي وقوعه
وله المدامع خددت أخدودا
فرح ابن آكلة الكبود بقتله
بشراً وأعلن في دمشق عيدا
ذهب الذي أمسى شجى في حلقه
وقذاً بعينيه فبات وعيد
لهفي لآل محمد من بعده
مدوا إلى سيف الضلال الجيدا
فأبو محمد بعده في دفنه
نحوه عن قبر النبي طريدا
عافوه وهو إمامهم واستبدلوا
حتفاً معاوية به ويزيدا
دسوا له السم النقيع بزاده
غدراً فغادر قلبه مقصودا
وقضى الحسين لقى بعرصة كربلا
ونساؤه حسرى تجوب البيدا

الشاعر:

هو المهدي بن أبي الجواد السيد هادي بن أبي الحسن السيد ميرزا صالح بن أبي جعفر السيد مهدي القزويني الكبير.

ولد في بلدة (طويريج) مركز قضاء الهندية حوالي سنة (١٣٠٧م) وهو رابع أخوته، أرسله والده الهادي إلى النجف ولم يبلغ العشرين بعد، جرياً على عادته وسيرته في تربية أنجاله، فأتم دروسه المسائية هناك وحضر برهة غير قليلة في حوزة الإمام السيد محمد كاظم اليزدي ثم في حوزة العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء.

كانت في لسانه حبسة وتمتمة تزيد منطقه حسناً على حسن وكان عم والده أبو المعز يسميه (أخرس قزوين)، واتفق لعمه المذكور أن قدم إلى الهندية، وقال: لقد قلت فيك يا مهدي هذين البيتين:

قولوا لأخرس قزوين إذا تليت
فرائد فكرة قد صاغ رائقها

قصيدة السيد مهدي القزويني في حق أمير المؤمنين(ع)

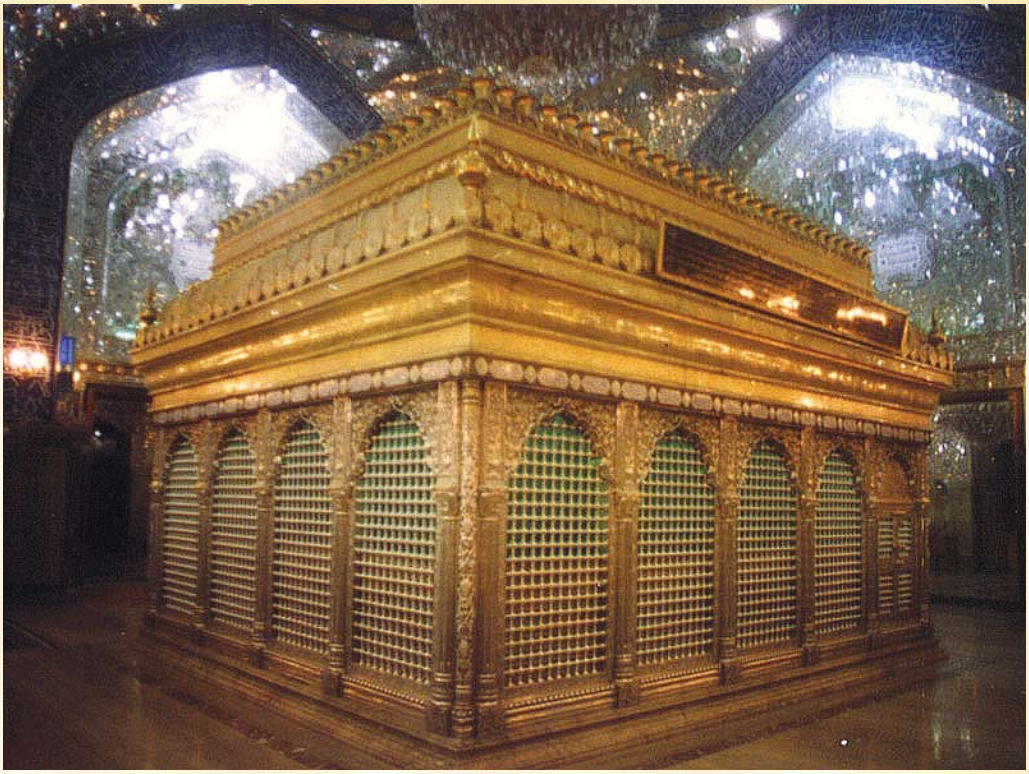

لم تبق ناطق شعر في الورى ولقد
(أخرست أخرس بغداد وناطقها)

وهو يعني بأخرس بغداد معاصره السيد عبد الغفار الموصلي البغدادي الملقب بالأخرس للكنة في لسانه، ويعني بباقي الشعر معاصره أيضاً عبد الباقي العمري.

توفي السيد مهدي الأخرس عشية الأربعاء ١٣ ربيع الأول من سنة (١٣٦٦هـ) ودفن في النجف الأشرف ورثاه جماعة من الشعراء.

التحليل:

أوجز الشاعر مقدمة قصيدته معتمداً اسلوب النفي، ليخالف ما درج عليه الأسلوب من جعل هذه المقدمة بمثابة إيجاز، أو إيماء من يعيد للمواقف الرئيسية التي ستطرقها القصيدة، وقد كان سعيه إلى تجنب المقدمة التقليدية مقصوداً إذ عبر بالفعل (تجنب) مرتين في البيت الأول عن هذا المقصد، يقابله الفعل (صحوت) في البيت الثاني الذي يجعله في موضع يرتقي فيه على سن الشباب وما فيه من لهو، معززاً ذلك في الأبيات الثلاثة اللاحقة بأسلوب النفي الذي يحقق فيه إنحيازه التام عن الوقفة الطللية، أو النسيب والتشبيب ليفرغ قلبه بحب أعظم وأكبر هو حب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الأبيات (٦-١٠)، معللاً ولعه هذا بما أنزل الله فيهم حين قرن حبهم بالتوحيد وتمام الدين.

قوم أتى نص الكتاب بحبهم
فولاهم قد قارن التوحيدا

ثم يفرد من هؤلاء (علياً) عليه السلام ليكون

حبه معبراً عن حبهم جميعاً فهو العلم فيهم بعد النبي صلى الله عليه وآله:

فلقد عقدت ولاتي فيهم معلناً
بولاء حيدرة فكنت سعيدا
صنوا النبي وصهره ووصيه
نصاً بفرض ولائه مشهودا

لقد اعتمد الشاعر في إيضاح ملامح هذا الحب وأسبابه، سمتين من السمات المميزة للإمام علي عليه السلام هما (الكرامات والمواقف)، فقد اختصت الأبيات (١١-٢١) ببيان بعض ما خص الله به علياً من كرامات ومناقب من تلك التي سجلتها كتب التاريخ والروايات والسير، ولعل ما يميز هذه الأبيات اعتمادها الواضح على مصطلحات علم الكلام والفلسفة، ولا غرابة في ذلك فهذا أمر شائع في أشعار العلماء ومن جرى في حلبتهم.

أما (المواقف) وهي المناقب الواقعية التي سجلها الإمام عليه السلام في مختلف مراحل حياته فقد بدأت في البيت (٢٢) حيث موقعة (بدر) وما صنعه سيف الإمام عليه السلام من فتك بشيوخ الكفر من سادات قريش وكبرائها، وما تلاها من مواقع حافلة: كالخندق وخيبر وحنين وسواها، حتى نادى جبريل نداءه الشهير (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار).

إن تلك الكرامات، وهذه المواقف تجعل من الإمام علي عليه السلام أعظم شخصية عرفها الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ما يوجب له حقاً في أعناق الأمة لتلقاه بالتبجيل والعرفان والطاعة، لكن شيئاً غير هذا حصل، إذ واجهته الأمة بالصدود والنكران والخذلان حتى العداوة، وهو ما سوغ للشاعر القول:

نفسي الفداء له إماماً صابراً
فقضى جميع حياته مجهودا

ليمهد به إلى ما سيأتي من مصيبة بدأت في البيت:

لم يلق بعد النبي محمد
إلا الأذى والظلم والتنكيدا

وليسجل في بقية الأبيات واقعة مقتل الإمام بضربة سيف أشقى الأشقياء حين كان الإمام عليه السلام في محرابه كعادته يتعبد الله في أعظم ليلة من ليالي رمضان وقد كان من عظم هذا المصاب أن نادى جبرئيل عليه السلام في السماء نداءً شهيراً هو: (تهدمت والله أركان الهدى) ليتناظر نداءان صدرا من جبرئيل عليه السلام في وقتين مختلفين، يسجلان جميعاً عظم هذه الشخصية الفذة.

ولعل مما زاد في شدة وقع المصيبة ما تبعها من نتائج سجلتها الأبيات (٤٨) وما بعدها بفرح آل سفيان، وتفرغهم لقتل الحسن والحسين عليهما السلام ومن والاهما تباعاً، مخالفين ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله في آل بيته عليهم السلام، وفاتحين الباب لمصائب ظلت تمتد على مدى التاريخ، ومازال خيط دماها يمتد حتى اليوم، وربما إلى يوم لا يعلمه إلا الله.

الرصد الفني:

يمكن التوقف عند بعض الملاحظ الفنية التي شملت سياق النص، لغوياً وبنائياً.

ففي الجانب الأول يلحظ بدء النص بخطاب المشى وهو من الأساليب الشائعة لدى الواقفين على الأطلال، أو معتمدي النسيب مدخلاً للقصيدة من

الشعراء العرب، ولكن القزويني يقلب هذا المدخل إلى النقيض وبعده لغواً لا جدوى منه.

اعتمد النص في خطابه أولاً ضمير الغيبة للمفرد (هو) على مدى الأبيات (١١-١٧) مشيراً به إلى (حيدرة) الذي ذكره في الشطر الثاني من البيت التاسع، وقد أحوجه إلى ذلك ما اعتمده من نسق فلسفي في التعبير، لكنه انثنى عن ذلك إلى ضمير المخاطب المضمر، مستفيداً من تقنية الالتفات البلاغية، باستعمال النداء (يا) من البيت الثامن عشر.

لقد ضمن الشاعر قصيدته بعض العبارات المعدولة عن بنائها الأصل، لتستقيم مع وزن (البحر الكامل) ومنها هتافاً لجبرئيل عليه السلام في شجاعة الإمام عليه السلام وفي مصرعه. وقد اضطره الوزن أيضاً إلى إنابة حرف مكان حرف في الشطر الثاني من البيت (٣٧) باستعماله إلى مكان لام الجر، وقد أثر هذا في المعنى قطعاً، واستعمل كلمة (الحجيج) وهي جمع (الحاج) مكان (الحج) وفي ذلك بعض الخلل، كما اضطر إلى تخفيف الهمة في موضعين هما كلمة (ولاهم) أي ولاؤهم في البيت الثامن، (وولائي) أي ولائي في البيت التاسع. واستعمل (التدوير) في عدة أبيات من القصيدة.

أما من حيث البناء فقد اعتمدت القصيدة بناءً تقليدياً، وإن خالفت المألوف في الافتتاح فليس في ذلك من جديد إذ سبق الشاعر ذلك كثيراً، وقد أعجلته الغاية إلى الإيجاز. لكنه يظهر اضطراباً واضحاً في إمكان التمسك بالتسلسل التاريخي للأحداث التي يعالجها، فلم يلتزم نسقاً سردياً يقوي وحدة البناء ويعضدها، إذ جاءت الوقائع الحربة المشهورة خلواً من سياقها التاريخي ومن دون وجود مسوغ فني لذلك، وقد أوجد البيت (٢١) مثلاً، قطعاً زمنياً واضحاً، لذا تظهر الحاجة ماسة إلى إعادة ترتيب أبيات القصيدة من دون أن يختل بناؤها، بل ربما استقام هذا البناء على وجه أمثل.

افتقد النص إلى معظم التقنيات البلاغية المعروفة، فلا تشبيه مثيراً، ولا استعارة بارعة، ولا كتابة معبرة، غير أنه تلطف في التعبير حين استعمل (طلعته) في البيت (٣٩) مكان غيرها، فكان النص جميعاً يتجه في إثارته إلى العقل الواعي، أي المتلقي الذي ينفعل بالإثارة المباشرة في غياب الأثر الفني العميق الذي كان ينبغي أن يسود نصاً مثل هذا يعالج قضية مثل هذه، فيكون أثره أكبر سعة، وأكثر عمقاً في الذائقة الفنية والحاجات النفسية، ليثبت أبعد كل ذلك، الفارق الواضح بين شعر الشعراء المحترفين، وبين إفاضات العلماء المنطقيين ■

الابتكار
في كلام الإمام علي(ع)

• م. م. عباس علي الفحام
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع

يندرج الابتكار في حديثنا عن التعبير الفني والصورة التي اخترعها الإمام عليه السلام من نفسه فلم يسبقه إليها قائل فكان هو أبا عذرتها.

وقد ميز بين الاختراع والإبداع، يقول ابن رشيق: (إن الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمة وحاز قصب السبق)[1].

ويبدو أن مدار الابتكار في الصور والتعبير على طريقة العرض والإبانة سواء كان المعنى مخترعاً أو محتذى، يقول أبو هلال العسكري: (والمعاني على ضربين ـ ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة ـ والآخر

ما يجتذبه على مثال تقدم ورسم فرط وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره إياه ولا يغره ابتداعه له فيساهل نفسه في تهجين صورته فيذهب حسنه ويطمس نوره ويكون أقرب فيه إلى الذم منه إلى الحمد)[٢].

إذن يأتي التمكين من ابتكار الصورة على غير مثال سابق من (أن الشاعر أو الكاتب ينظر إلى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني)[٣].

فالابتكار على هذا لا يأتي من فراغ إنه (ليس معناه اختراع شيء من الهواء ولكن معناه وجود مادة تتفاعل مع شخصية قوية فتتمثل خلقاً جديداً)[٤].

ولا تعني المادة التي يتفاعل معها الأديب المبدع ما يرثه من أسلافه فحسب بل قد تكون ظواهر الحياة المعاصرة مادة له ينسجم معها فيتحسسها ومعينه في ذلك موروثه الأدبي المبدع، فإذا هي تمده بالصور والتغيرات التي لم يسبقه إليها أحد قبله، وما أتيح له ذلك إلا من حسن تأتيه في كيفية استكناه مظاهر حياته المختلفة من طبيعة وظواهر اجتماعية يعيشها.

على هذا الأساس تكون دراستنا لكلام الإمام علي عليه السلام وصوره المبتكرة، فثمة رافدان مداه بمثل هذه

الصور هما الطبيعة وتجاربه في التعامل مع الموقف الجديد.

أولاً: الطبيعة:

كانت طبيعة البيئة البدوية بما فيها من طبيعة حية كالحيوان وما اشتملت عليه من أصناف الحيوان ماعدا الإنسان وطبيعة صامتة ومظاهر وجودها متجسد في سهولها وجبالها وسمائها وبواديها - أقول - كانت مادة الأدب العربي القديم أوحت له بالكثير من الصور فقد تهيأ للشاعر الجاهلي من هذا الفن حظ وافر فأخذ يتأمل الطبيعة ويبثها آلامه وفتن بها ويصورها تارة وأخرى بقلبه.

فهل أوحت الطبيعة للإمام علي عليه السلام بأكثر مما أوحت للشاعر الجاهلي فيأتي بالصورة المبتكرة التي لم يسبق بها؟

في الطبيعة الحية كانت مادة الإمام في ابتكار تعابيره وصوره - غالباً - الإبل ذلك الحيوان الذي دعا القرآن الكريم إلى تأمله والتفكر فيه.

يقول الإمام علي عليه السلام من خطبه في الاستسقاء: (**اللهم إنا خرجنا إليك حين اعتكرت لعينا حدابير السنين**)[٥].

والحدابير: جمع حدبار وهي الناقة التي بدا عظم ظهرها ونشزت حراقيفها من الضعف والهزال[٦]، أفاد الإمام من صورة هزالها (فشبه بها السنين التي يكثر فيها الجدب والقحط)[٧].

ويقول الإمام عليه السلام في دعاء استسقى به: (**اللهم فأسقنا ذُلل السحاب دون صعابها**)[٨].

يعلق الشريف الرضي على هذا الكلام فيقول: (وهذا من الكلام العجيب الفصاحة وذلك أنه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص برحالها وتقص بركبانها، وشبه السحاب خالية من تلك الروائع بالإبل الذُلُل التي تختلب طيِّعة وتُقتعد مُسمحة)[٩].

وفي كلام آخر يقول الإمام عليه السلام: (**لنا حق، فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السُرى**)[١٠].

ومعنى كلامه عليه السلام إنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء لأن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير وأمثالهما.

ويقول الإمام عليه السلام يصف نفسه: (**بازل عامين حديث سني**)[١١].

والبازل من الإبل الذي تم ثماني سنين ودخل التاسعة وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوته ثم يقال له بعد ذلك بازل عام وبازل عامين، وبذلك فالمعنى الذي أراده الإمام عليه السلام: (**أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة**)[١٢].

ويقول الإمام عليه السلام متوعداً: (**وأيم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها**).

والخزامة: حلقة من شعر تجعل في أنف البعير ويُجعل الزمام فيها وفي ذلك حط لشأن الظالمين وإبانة عن قدرة الإمام عليه السلام في إنصاف المظلومين.

وغير ذلك كثير من كلامه عليه السلام المبتكر وكانت مادته الإبل كقوله عليه السلام: (**كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب**).

وقوله عليه السلام: (**أنتم السنام الأعظم**).

وقوله عليه السلام لرجل مضطرب: (**إنك لقلق الوضين**).

وقوله عليه السلام الشهير: (**فصاحبها كراكب الصعبة...**).

أما الطبيعة الصامتة بما فيها من سهل وحزن وأرض، وسماء فقد رفدت الإمام عليه السلام بالكثير من الصور المبتدعة كقوله عليه السلام مؤنباً أصحابه: (**هيهات أن أطلع بكم سَرار العدل**).

والسرار هي الليالي الأخيرة من الشهر وتكون عادة شديدة الظلمة، والمراد أن الإمام عليه السلام يستكثر على أصحابه إدراك الحق بهم، وحدة الصورة تبدو في إضافة السرار إلى العدل، إذ العدل معنى خالص فكيف اسند إليه الإمام السرار؟ لا ريب في أن لذلك نكتة فكأن العدل بسبب ما أحيط به من ظلام دامس يحتاج إلى كشف وتمييز، لأن كثرة الشبهات التي أحاطت بالهدى والحق صيرتهما قاتماً مظلماً لدى من يراهما.

ومن صورة السرار قوله عليه السلام يصف أهل بيته عليهم السلام: (**بنا انفجرتم عن السرار**) فكأنه يشبه أهل البيت عليهم السلام بالفجر المرتقب بعد طول وحشة من ليالي السرار المظلمة الطويلة.

ثانياً: المواقف المستجدة:

لا ريب في أن عصر الإمام عليه السلام عصر فتن ونزاعات تقاذفته الأهواء والشبهات، فلا يتبين الحق من لم يعط حظاً من البصيرة، لذلك كان الإمام عليه السلام يكرر دائماً أنه مقيم (**على سنن الحق في جواد المظلة**) وأنه (**على الطريق الواضح يلقطه لقطاً**) وأنه (**على يقين من دينه**).

وكانت هذه المواقف الجديدة تستدعي استنباط ما يناسبها من معان وتقديمها بصيغ جديدة، فمن تلك المواقف الجديدة التي مرّ بها الإمام عليه السلام اختلاف الناس بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله حول الخلافة، فقيل له أن قريشاً احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: (**احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**).

ومن ذلك قوله عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه ينصح المغيرة بن شعبة يوم صفين: (**دعه يا عمار، فإنه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا وعلى عَمدٍ لبس على نفسه، ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته**)[١٣].

فهذا استشفاف عجيب لطبائع النفس المنحرفة قد نستشعر معناه لكن لا يتأتى لنا التعبير عنه بهذه الصيغة المبتكرة.

ومن ذلك ما مرّ على الإمام عليه السلام حين لُبِّس على أصحابه بعد قضية التحكيم في قولهم: (الحكم لله لا لك يا علي) وأصبحوا يُدعون فيما بعد بالخوارج فقال عليه السلام: (**كلمة حق يراد بها باطل**)[١٤].

وكانت كلمة الإمام عليه السلام جامعة مانعة كما يقول المناطقة.

ومثله قوله عليه السلام للزبير بن العوام: (**عرفتني في الحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا**).

فأصبح قوله: (ما عدا مما بدا) مثلاً لجدتها[١٥].

وسُئل الإمام عليه السلام: بم غلبت الأقران؟ فقال عليه السلام: (**ما لقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه**).

مشيراً إلى تمكن هيبته عليه السلام

في النفوس.

ومدحه رجل وكان متهماً له في نفسه فقال عليه السلام: (**أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك**).

ويقول الإمام عليه السلام في رجل صادق أكثر من إطرائه للإمام عليه السلام: (**لا تظنوا بي رفع استثقال الحق إليّ فإنه من استثقل الحق أن يقال له كان العمل به عليه أثقل**).

وعلق ابن أبي الحديد على هذا الكلام فقال: (وذلك معنى لم أسمع فيه منثوراً ولا منظوماً)[16].

ومما عدّ ابن أبي الحديد مما أسماه (أمثالاً مخترعة لم يسبق بها):

كقوله عليه السلام: (**لا تجتمع عزيمة ووليمة**).

وقوله عليه السلام: (**ما أنقض النوم لعزائم اليوم**).

وقوله عليه السلام: (**أمحى الظلم لتذاكير الهمم**)[17].

ومما حفظ للإمام عليه السلام من أمثال قوله: (**من أراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء**) قيل: ما خفة الرداء؟ قال عليه السلام: (**قلة الدين**).

وسمي الدين رداء كقولهم: (دينك في ذمتي وفي عنقي ولازم في رقبتي وهو موضع الرداء وهو الثوب أو البرد الذي يصنعه الإنسان على عاتقيه وبين كتفيه فوق ثيابه)[18].

ومثل ذلك قوله عليه السلام: (**حبقّة حبقّة ترقّ عين بقّة**)[19]. وكان الإمام عليه السلام يقول ذلك كلما صعد المنبر يخاطب نفسه (ترق عين بقة) استصغاراً لها وتواضعاً منه.

وجملة القول: إن التعبير المبتكر عند الإمام عليه السلام بدأ من خلال قدرته على التفاعل مع الأشياء وإخراج الغريب مما هو مألوف معتاد ■

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج١ ص٢٦٥.
(٢) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٧٦.
(٣) المثل السائر، لابن الأثير، ج١ ص١٥.
(٤) مشكلة السرقات في النقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، ص٢٦٨.
(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٧ ص٢٦٢.
(٦) لسان العرب مادة (حدبر).
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الإثير الجزري، ج٢ ص١٦٦.
(٨) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٢٠ ص١٩.
(٩) نفس المصدر.
(١٠) نفس المصدر، ج١٨ ص١٣٢.
(١١) الفائق، للزمخشري، ج٣ ص٩٧.
(١٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١ ص٢٥.
(١٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٢٠ ص٨.
(١٤) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج٢ ص٢٠٦.
(١٥) الفاخر، للمفضل بن سلمة، ص٣٠١.
(١٦) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١١ ص١٠٦.
(١٧) نفس المصدر، ج١١ ص١٤٣.
(١٨) نفس المصدر، ج٢ ص٢١٧.
(١٩) جمهرة الأمثال، ج١ ص٣٦٢.

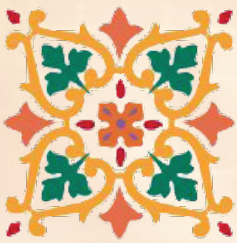

ص ٨٢

ص ٩٠

ص ١١٠

محراب الشهادة

ملف خاص عن أمير المؤمنين

الإمام علي بن أبي طالب(ع) ..... ٤ ـ ٣١

كلمة العدد

دعوة للحسنىٰ

المشرف العام ٣٤

قرآنيــات

الدلالات اللغوية لوجوب الصوم في التعبير القرآني

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي ٣٦

فكرة إعجاز القرآن.. جذور النشأة

عادل عباس النصراوي ٤١

استطلاع المجلة

مزار زيد بن علي(ع).. رمز الإباء ومنبع الكرامات

حيدر الجد ٤٦

في رحاب الفقه

أجوبة استفاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٦٤

آمن الرسول

الإمامة والخلافة بين الإقرار والرفض

السيد محمود المقدس الغريفي ٦٨

ص٧٦

ص١٠٢

ص٣٦

للفضيلة نجومها

الشيخ محمد حسين النائيني وجهوده الفكرية

حيدر نزار السيد سلمان ٧٦

الشيخ محمد حسن آل ياسين من النجف إلى الكاظمية

حيدر المالكي ٨٢

طروحات عامّة

الرمزية والجمال في فنون العمارة الإسلامية

د. علي ثويني ٩٠

البرزخ.. دراسة علمية حول عالم البرزخ

أسامة النجفي ١٠٢

افتتاح الثناء.. افتتاح الثورة

علي مجيد داود ١١٠

فشل محاولات بني إسرائيل في تغيير أحداث التاريخ

سعد حاتم مرزه ١٢٠

التسويق الشبكي إنجاز ملموس من إنجازات العولمة

المهندس حيدر النجفي ١٢٦

أجوبة مسابقة العدد (١٢) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسابقة العدد ١٢٩

كلمة العدد

دعوة للحسنىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

تتحدانا ونحن الأمة المتماسكة أعتى قوة في تاريخ البشرية لتنال من مبادئنا الحقة، التي رسمت لنا الطريق اللاحب، فنرى بين آونة وأخرى أطيافاً من التهاترات والشتائم بشكل غير ملفت للنظر، لما عرفناه من سذاجة عدونا، وضعف قيمه الإنسانية ـ وهو الذي يدعو إلى حفظ حقوق الإنسان ـ وما هي إلا نفثات العاجز، وحيلة الخاسر في حلبة الصراع.

وذلك امتداد لما عليه الأسلاف الماضين، ممن أرادوا الكيد بالإسلام والمسلمين، بعد عجز السيف، بل السلاح الفتاك، بل إلقاء الفتن بين صفوف المسلمين، وسد ثغرات الوحدة والألفة التي جاء بها الرسول الأكرم ﷺ، حتى نرى أن سلطوا علينا من يحمل هوية الانتماء لكن مع شدة العداء والقسوة في التعامل.

لكن ـ في تصورنا، وبعد حسابنا للحوادث بشكل مفصل، ومتابعة للتاريخ الذي كتب بأيد غير أمينة ـ نرى كثيراً من ذلك في عاتق من صنع التاريخ، ومن كتبه على حدّ سواء. ومن له أدنى معرفة وسبراً للوقائع التاريخية يجد ذلك بوضوح، فمن جانب يجد الإسفاف والضحالة في وصف النبي ﷺ مثلاً، وأنه يمتلك مشاعر جياشة ومرهفة لتدفعه إلى الاستماع إلى الأغاني بشكل لا يقبله حتى من يستمع إلى الأغاني فعلاً، متناسين ما عليه ﷺ من المكانة السامية، والذي به ختمت الشرائع، ولا مجال هنا لسرد الأسباب التي دعت إلى تشويه هذه الحقائق بهذه الصورة، ومن جانب آخر نجد صناع التاريخ الإسلامي، وما كانوا عليه... فهذا يصنع له حوض من الخمر، ولا يكتفي بالقُلّة والقُلّتين... وذلك يتمتع بالجواري بشكل مقرف يندى له الجبين... وآخر مولع بالدماء، وحب القتل والتعذيب... ورابع مولع بالصيد، واللعب مع الحيوانات... وهكذا، وكلهم ينعتون بإمرة المؤمنين، وخلفاء الرسول الكريم، ولا ندري إذا كان الأمراء هكذا فكيف بالأتباع؟!

وحينئذٍ فلا غرو أن نجد اليوم، بل وقبل اليوم، من هذه التهاترات والنعوت،

بل الشتائم في كثير من الأحيان، سواءً من البابا أم من غيره، بعد أن كان كتّاب التاريخ وصانعوه بهذا الشكل من اللامسؤولية والإسفاف سواء في الأهداف بنقل الحقائق مشوهة، أم إشباع الغرائز في التدني لهذا المستوى من الضحالة والسقوط. لذا نجد جملة من المستشرقين، وبالاعتماد على تراثنا ـ حسب الفرض ـ يدوّنون ما لا يقبله المسلمون اليوم، بل يحاولون ردها بحملات دعائية قوّية متناسين الرجوع إلى مصادرهم، ليجدوا أن من دوّن من المسلمين وشوّه الحقائق ليس بأقل مما دونه أولئك المستشرقون اعتماداً عليهم.

فمن هنا ندعو إلى الرجوع إلى تراثنا بشكل موضوعي، وفرز الغث من السمين، وتشذيب المدونات من كل ما يسيء إلى الإسلام. بل إصلاح الفساد المستشري في صفوف المسلمين اليوم الذين يعكسون الصورة الوضاءة للإسلام، وبشكل لا نحتاج بعده إلى تراثنا لإثبات الحقائق الضائعة. لتكون الصورة حاكية عن المبادئ التي جاء بها الإسلام، حيث ورد عن أئمتنا (صلوات الله عليهم) أنهم كانوا يدعون شيعتهم إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة، لتنعكس بهم صورة الإسلام عند الأعداء، فيرون الإسلام يمشي على وجه الأرض، خصوصاً ونحن على أبواب رحمة من رحمات الله العلي القدير، الذي خصّ هذه الأمة بها من دون الأمم، فجعل يوماً فيه يعدل ألف شهر من سائر الأيام، وما ذلك إلا لخصوصية هذه الأمة عن سائر الأمم، والذي بها امتازت بشكل يعبق بعطر الجلال، ووسامة المهابة، ويتجلى ذلك بوضوح في وصف النبي ﷺ لهذا الشهر مع ما خُصّت به هذه الأمة منه، بقوله:

«**أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب. فسلوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه...**». وكلنا أمل في رعاية هذا الشهر من قبل من وفقوا له، وحفظ حدوده الشرعية، وكرامته عند الله تعالى، فإن من هتك حرمات الله تعالى وإن لم يهتك لهتوك. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ■

المشرف العام

الدلالات اللغوية لوجوب الصوم في التعبير القرآني

• د. سيروان عبد الزهرة الجنابي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

قال تعالى في كتابه العزيز: (يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عَليكُم الصيامُ كما كُتِبَ على الذينَ من قَبلِكُم لعَلكُم تَتَّقونَ) صدق الله العلي العظيم..

لقد هبط الكتاب المقدس (القرآن الكريم) بفضله تعالى على العرب في الوقت الذي كان الناس فيه يأكل بعضهم بعضا عيانا وينهب الأخ أخاه بلا مروءة ولا تواني فلا عدل يظهر ولا إنصاف يلحظ ولا قيم تتجلى ولا إحسان يتفاخر به، فالفقير مُستَعبَد مذلول والغني مُستكبِر مُتباهٍ بظلمه وأذاه للناس، فاحتاج المجتمع حينذاك إلى من يعيد إليه إنسانيته وروحه الصافية التي منحها له خالقها ،ولا يعيد الأمر إلى نصابه إلا القادر على ذلك وهو القادر الوحيد سبحانه، فجاء النص القرآني منقذا للبشرية فكان دستورا تشريعياً، إذ يتعامل مع الناس على أساس مبدأ إرجاع الحق إلى أهله ودرء الباطل عمن تنكبه، ومعلما يصقل شخصية الإنسان، ومنظما ممتازا لشؤونه الحياتية، إذ ضم كثيرا من أصول علم الاجتماعي الإنساني، وهو في الوقت ذاته يعمل مرشدا للحفاظ

على صحة البشرية، وكان من جملة الأمور التي تمت إلى التهذيب الصحي والنفسي للإنسان بصلة هي فريضة (الصوم) حيث فرضها سبحانه واجبا تشريعيا على الناس لمقصد يعنيه، ذلك بان الواجبات الذي يفرضها الله تعالى في كتابه العزيز لا تكون إلا لمنفعة وبالمقابل لا يحرم سبحانه شيئا على عباده إلا لوجود ضرر كامن في المحرَّم كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والميسر والخمرة وغير ذلك فيما يناط بدفع الضرر عن الناس، وتأسيساً على هذا نجد أن (الصوم) الواجب على الإنسان المسلم إنما ورد لمنفعته، ولكن قبل أن نتعرف إلى هذه المنفعة لابد لنا ابتداءً من معرفة الدواعي اللغوية التي عُرِف منها أن الصوم واجب على الإنسان؟ وللإجابة على هذا التساؤل ننظر إلى قوله تعالى: (يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتبَ عَليكُم الصيامُ كما كُتبَ على الذينَ من قَبلكُم لعَلكُم تَتَّقونَ) فعند التأمل ومعاودة النظر في الآية الكريمة نجد أنها قد ابتدأت بعبارة (يا أيُّها الذينَ آمنوا) فكانت توحي أصالة بأن الآية تشريعية، إذ غالباً ما تبتدئ الآيات التي يريد سبحانه أن يشرع فيها أمراً أو يفرض فيها شيئاً ما على العباد بهذه العبارة، فكانت هذه قرينة تدفعنا إلى القول بان هذه الآية هي آية تشريعية، ثم يقول سبحانه: (كتب عليكم الصيام) وهذه جملة إخبارية تدل من الفعل (كتب) على الزمن الماضي ، فأين الوجوب للصيام فيها؟ نقول إن هذه الجملة وإن كانت إخبارية في مبناها غير أنها إنشائية في معناها فهي تدل على الأمر الوجوبي لأنها بمعنى فعل الأمر (صوموا) إلا انه سبحانه لم يأت بفعل الأمر صراحة للتعبير عن هذا المعنى، والعلة في ذاك هي أن الله تعالى قد صاغ كتابه العزيز بعبارة عالية الدقة رفيعة المستوى جليلة القدر وكان من تداعيات هذه الرفعة المعمارية في البناء الكلامي أن يمتاز النص القرآني بأدبيات خطابية وجماليات غاية في الروعة فالناظر في آيات القرآن الكريم لا يستطيع أن يعثر على آية واحدة قد ذكر فيها سبحانه لفظة (صوموا) بفعل الأمر صراحة، وإنما يعبر عنه بالجملة الإخبارية (كتب عليكم الصيام) دائما، لان الصيام من الأمور الشاقة على الإنسان إذ ليس من اليسير على المرء أن يمتنع عن الأكل والشراب مدة طويلة من اليوم ، لان

الأكل والشرب متعتان من متع الحياة التي لا غنى للإنسان عنها البتة هذا من جانب ومن جانب آخر يعدان من الأمور المهمة التي تمد الإنسان بالطاقة ليؤدي واجبات الحياة الشاقة، فالإنسان لا يقوى حتى على التفكير في الكثير من الأحيان إذا كان خالي البطن ظمئ الجسم، من هنا آثر سبحانه أن يخاطب الناس بالجملة الفعلية الماضية بدلاً من أن يخاطبهم مباشرة بفعل الأمر (صوموا) فيكون وقع الفعل عليهم أشد مما لو صيغ كما هو الآن في القرآن الكريم، ولكن يبقى التساؤل قائما: ما الذي دعا إلى معرفة وجوبية الصوم إذا كان الله تعالى لم يخاطب الناس بفعل الأمر حتى يعرفوا بأنه واجب ، نقول إن هناك بناء لغوي في عبارة (كتب عليكم الصيام) قد صيغ بمهارة فنية عالية التماسك تدل على أن الصيام واجب، وذلك بالأدلة اللغوية الآتية:

١- إن الله تعالى قد استعمل الفعل (كتب) وهذا الفعل وإن كان يدل على الزمن الماضي من وجهة المنظور النحوي إلا انه يدل من جهة أخرى على الفرض والوجوب، ويعضد هذا قول الطوسي في التبيان إذ يقول: (وقوله (كتب) معناه فرض) ويعود ذلك إلى أن الكتابة تعني إثبات الشيء وديمومته، وهذا أمر جارٍ في اللغة معروف، فلو أنك قلت لصديق لك في العمل: (كتب عليك المدير أن تفعل كذا)، فان هذا يدل على أن المكتوب أصبح واجباً على ذلك الصديق أي هو بمعنى فرض عليك أن تفعل هذا الأمر ، ونجد لهذا شاهدا آخر في حياتنا اليومية وذلك في من تقع عليه مصيبة - وقاه الله شرها - فانه يقول: (إن هذا مكتوب عليَّ ويجب أن يحدث شئت أم أبيت) فنفهم من هذا أن القائل أدرك أن هذه المصيبة هي واقعة به لا محالة لأنها قد فرضت عليه في عالم الغيب ولا سبيل له للتفادي منها إلا بفضله ورحمته تعالى، من هنا نرى أن الفعل (كتب) يدل على الوجوب، وقد أدرك هذه الدلالة للفعل (كتب) السيد الطباطبائي بمقولته: (الكتابة معروفة المعنى ويكنى بها عن الفرض والعزيمة والقضاء والحتم) ونحسب أن هذه المعاني التي ذكرها الطباطبائي كلها متحققة في معنى الصوم الذي أوجبه تعالى بالفعل (كتب)، ويقوي هذا قوله تعالى (كَتَبَ رَبُّكم على نفسه الرحمةَ) إذ يريد سبحانه من الفعل (كتَب) الدلالة على ثبوتية الرحمة له سبحانه، يقول الطباطبائي: (المراد بكتابة الرحمة على نفسه إيجابها على نفسه، أي استحالة انفكاك فعله عن كونه مُعَنوَناً بعنوان الرحمة)، لذا يكون معنى كتب (اوجب)، والإيجاب دائم مطلق من محدودية الأزمنة فرحمته لا حدود لها وهي من لوازمه سبحانه فهي مطلقه بإطلاقه وجوده.

٢- وجود حرف المعنى (على) الذي يدل على الفرض من جهة والعلية من جهة أخرى بناءً على جهة صدور الخطاب، فلو ناديت صديقك - وقد كان لك عليه دين وقد أخَّر وقت تسديده لك - قائلاً:

(لي عليك كذا) فإن المعنى هو: أدِ لي ما عليك، فكانت دلالة (على) هنا هي التسلط والدعوى إلى أداء المطلوب، وهذا الحرف يعزز من معنى الفعل (كتب) الذي سبق الحديث عنه فكأن الفرض يثبت بالتسلط والعلية منه تعالى على العباد لأنه خالقهم وهو له الحق وحده بأمرهم بما يريد لان الخطاب إذا صدر من الأعلى إلى الأدنى يعد أمراً ولا يفرض إلا العالي .

٣- إن الناظر إلى صدارة الآية كما ذكرنا سيجد أنها تمثل دليلاً آخر على أن الآية فيها معنى الفرض والواجب، لأنها بدأت بقوله: (يا أيُّها الذينَ آمنوا) وهذه العبارة تدل على التشريع الذي لا بد من أن يفرض الله تعالى فيها أمراً، ولكن الحيرة تقع في الآتي (هل الصوم واجب على المؤمنين فقط بناء على خصوصية النداء بهم؟!)، إن هذا أمر محال ذلك بان الصيام فرض واقع على الجميع دون استثناء إلا من خصهم تعالى في كتابه تحت دواعي معينة كالمرض أو السفر، أما بغير هذا فانه واجب على الناس كافة المؤمنين والكافرين على حد سواء ، لانا إذا قلنا بأنه واجب على المؤمنين فقط، لحقَّ على الله تعالى أن لا يحاسب غير المؤمنين على عدم أدائهم لفريضة الصوم فلو امتنع الكافر عن أداء فريضة الصوم لعدم إيمانه بها أو تردد المسلم في اقتناعه بهذه الفريضة فعلى الله تعالى إن لا يحاسبه لأنه غير مشمول بالنداء، على حين نعتقد اعتقاداً راسخاً بان الله تعالى أعدل من أن يفرض شيئاً على إنسان دون آخر، فيلزم الأول به دون الثاني، فمادام الناس سواسية لديه وجب من هنا القول بان الصوم واجب على كل إنسان دخل الإسلام، أما المنكر لهذا الدين فان الله تعالى سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة أنكرها فِي هذا الدين ولم يؤدها، إذ (ليسَ الله بظلام للعبيد)، أما سبب توجيه النداء ابتداءً للمؤمنين فيعود إلى أن المؤمنين هم أول من يبادر إلى العمل بما فرض الله سبحانه فكان المُلبي مذكور أولا من باب الأولى لان تلبيته للواجب محروزة ومضمونة بلا جدال فكان النداء - من هنا - تحفيزياً وتكريماً لأولئك المؤمنين لأنهم يهرعون لأداء المطلوب قبل غيرهم، فإذا كان القائد في الحرب داعيا إلى الهجوم فانه أول ما ينادي جنوده وقادته الأبطال محفزاً إياهم بقوله: (أيها الشجعان عليكم بهم، أو يناديهم بقوله: أين الشجعان؟) وهذا النداء لا يعني انه موجه للشجعان دون غيرهم من الجنود المقاتلين إنما دعا القائد الشجعان حتى يتسم غيرهم بشجاعتهم فيكونوا أهلاً لهذا النداء أيضاً وبالنتيجة فان المجموع هو مشمول بالنداء بأسره دون استثناء، يقول الطبرسي: (وإنما خصَّ المؤمنون بالخطاب لقبولهم لذلك، ولان العبادة لا تصح إلا منهم ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم)، لان الله أعدل من أن يظلم أحداً.

٤- أما قوله تعالى: (كما كُتِبَ على الذينَ من قَبلِكُم) فانه يدل

على أن الأمم السابقة على الإسلام كان فيها الصوم واجباً أيضاً بدلالة حرف التشبية (الكاف)، لكن صوم تلك الأمم يغاير صومنا من حيث الخصوصية وان اتفق معهم من حيث الماهية أو المفهوم (الامتناع)، فالصوم في الإسلام يعني الإمساك عن المأكل والمشرب والمحرمات منذ الفجر إلى أذان المغرب على حين أن صوم أهل الكتاب يباين صومنا، إذ يرى صاحب الميزان السيد الطباطبائي (أن الصوم المكتوب عليهم هو غير الصوم المكتوب علينا من حيث الوقت والخصوصيات والأوصاف، فالتنظير في الآية إنما هو من حيث اصل الصوم لا من حيث خصوصياته) من هنا كان الصوم في الإسلام بهذه الخصوصية لم يكن عند احد من قبل، أما من حيث ماهية الصوم أي الإمساك فانه موجود عند الأمم الأخرى وهذا ما أراده سبحانه بقوله: (كما كُتبَ على الذينَ من قَبلِكُم) ثم إن هذه المقولة له سبحانه تدل على أن الصوم أمر ثابت و قديم بقدم وجود الإنسان ولهذا صاغ سبحانه فعل الكتابة على الزمن الماضي ليدل على شدة قدم هذه الفريضة على الإنسان وإن اختلفت في صيغتها وخصوصياته من امة إلى أخرى، وان هذا القدم في الزمن يلزم الإنسان ويوجب عليه الأداء لان الأمر محسوم منذ زمن بعيد، ولكنه قد نزل الآن فعليه بالأداء لان هذا الواجب موغل في القدم.

٥- أما قوله: (لعلكم تتقونَ) فان هذه المقولة هي الغاية الأساس من الصيام، وان دلالة (لعل) في الآية ليست للترجي كما يذهب أهل النحو وإنما هي تدل على الغاية فهي بمعنى (كي تتقون)، لان الخطاب صادر منه تعالى ويستحيل عليه تعالى أن يترجى عباده، وإنما يفرض عليهم الأمر ثم يوضح لهم غايته والإفادة منه وهي (التقوى)، ونلحظ أن المفعول به للفعل (يتقون) محذوف، وذلك ليدل على أن التقوى تشمل كل شيء لا أمراً دون آخر فهي تقوى من الأكل والشرب المسرف، وتقوى من امتداد العين إلى ما حرم الله، وتقوى في الفقير لإعانته ومساعدته، وتقوى بالإنسانية لتهذيبها وتعليمها الصبر وكسر الشهوة وتملك زمام النفس والاستحواذ على سلطانها والتحمل حتى يقوى المرء على مقارعة الحياة القاسية ومواجهة الظلم، فهي تقوى في كل شيء إذن، مما تقدم نجد أن الصياغة اللغوية الرفيعة لهذه الآية هي التي أوجب الصوم فريضة على العباد على الرغم من انه تعالى لم يأتِ بفعل أمر تحت عبارة (صوموا) في القرآن الكريم البتة وذلك تحاشياً من صعوبة وقع أثر هذه الفريضة على المرء مما يؤول إلى التهيب منها أو استعسار أمرها، فخاطب سبحانه العباد بأسلوب رقيق رشيق رفيع ففَهَمُوا منه الوجوب دون أن يواجههم بالأمر مباشرة ألا تعلم بـ(إنَّ رَبَّكم لَرؤوفٌ رَحيمٌ) ■

فكرة إعجاز القرآن.. جذور النشـأة

• عادل عباس النصراوي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع قبل الخوض في جذور نشأة فكرة إعجاز القران لابد لنا من توضيح معنى الإعجاز في اللغة والاصطلاح، كي نكون على بيّنة من الأمر.

فالإعجاز في اللغة من الفعل عَجَزَ يعجز عَجْز فهو عاجز ضعيف واعجزني فلان إذا وجدته عاجزاً[1]، والعجز نقيض الحزم، ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، يقول أعجزني فلان أي فاتني[2].

ولا نفهم معنى الإعجاز في الاصطلاح، إلا أن نعرف المعجزة، يقول الشيخ محمد جواد البلاغي: (المعجز هو الذي يأتي به مدّعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلّم ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة..)[3].

إن خروج المعجز عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم تعد دليلاً على نبوة النبي وشاهداً على صدقه، وهذا متعلّق بما وراء الطبيعة، وهذا مما أعطى لفكرة الإعجاز طابعاً فلسفياً من خلال الارتباط بين عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة، إذن فالإعجاز هو أن يدّعي المدّعي أمراً ما فيما يخص القدرة الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره وشاهداً على صدق دعواه[4].

فالعلاقة بين المعنى القوي

والاصطلاحي للإعجاز تتضح من خلال عجز المعارض وعدم حزمه في تحدي الأمر المعجز لأنه جاء خارقاً لنواميس الطبيعة.

أما أصول فكرة إعجاز القرآن ونشأتها، فتعود إلى بدايات الدعوة الإسلامية للبعثة النبوية المباركة عندما تحدى النبي محمد ﷺ قريشاً في أن يأتوا بمثل هذا القران، إذ قال الله تعالى: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٥]، واستمرت حتى عصر التصنيف في إعجاز القران عند نهايات القرن الثالث الهجري، إذ ألّف محمد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦هـ) كتابه (إعجاز القرآن) الذي فقد ولم يصل إلينا.

لقد أخذت فكرة التحدي هذه مسارات عدة تتمثل في بلاغة القران ونظمه والصرفة، وذكر المغيبات، وغيرها، بيد أن البحث سيقتصر على مساري النظم والصرفة إذ يمثلان اتجاهين متباينيين.

لقد كان القران الكريم مدار حركة علمية واسعة شملت التصنيف في جميع المسائل المتعلقة بلغة القران، وكان لعلماء اللغة جهد متميز في هذا الميدان، ووجدوا أن بالمسلمين حاجة إلى توضيح ما غمض في النص المقدس ليسهل عليهم فهم المعاني والألفاظ واستنباط الأحكام وبيان وجوه الإعجاز. فترك لنا العلماء طائفة من المصنفات اهتمت بالجوانب اللغوية والبلاغية وغيرها ابتداءً من منتصف القرن الثاني الهجري، فوصلت مصنفات الفراء (ت٢٠٧هـ) وأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) والأخفش (ت٢١١هـ) وغيرهم من العلماء.

إن الأسباب التي دعت هؤلاء العلماء إلى التأليف في معاني القران تتصل بالجانب البلاغي والاعجازي للقران الكريم.

فالسبب الذي دعا أبا عبيدة إلى تأليف كتابه (مجاز القران) هو تفسير ألفاظ القران الكريم التي يتوهم الناس في فهمها، فقد سئل يوماً عن قوله تعالى: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)[٦]، فقيل له: (إنما يقع الوعد والوعيد بما عرف مثله وهذا لم يعرف، فقال أبو عبيدة: (إنما كلّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم)[٧].

أما الذي دفع الأخفش إلى تأليف كتابه (معاني القران) فهو طلب الكسائي منه أن يؤدب أولاده. قال الأخفش: (سألني - أي الكسائي - أن أؤلف كتاباً في معاني القران الكريم، فجعله إماماً لنفسه، وعمل عليه كتاباً في المعاني، وعمل الفراء كتابه في المعاني)[٨].

فيما كان السبب الذي دعا الفراء إلى تأليف كتابه (معاني القرآن) ما قاله ثعلب: (وكان السبب في إملاء الفراء كتابه في القرآن... أن عمر بن بكير، وكان من أصحابه، وكان مع الحسن بن سهل فكتب إليه: أن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن الكريم لا يحضرني جواب

عنهـا، فلما رأيت أن تجمـع لي أصولاً أو تجعل لي فـي ذلك كتاباً نرجع إليه ففعلت)[٩].

وكان الجاحـظ (ت ٢٥٥هـ) قـد ألف كتابه (نظم القران) في الاحتجاج للقـران ومعارضـاً لـكل طعّـان ممن زعـم أن القـران مخلوق وليـس تأليفه حجـة[١٠]، وقد تبع الجاحـظ تلميذه ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) إذ ألّف كتابه (تأويل مشـكل القران) للرد علـى الطاعنين فقـال: (وقـد اعتـرض كتـاب الله بالطعـن ملحـدون ولغوا فيـه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلـه)[١١]، بافهام كليلة وأبصار عليلة ونظـر مدخـول فحرّفوا الـكلام عن مواضعه وعدلوا عن سبيله)[١٢].

فالسـبب الـذي دفع هـؤلاء العلماء إلى التصنيف فـي القرآن والتأليف فيه كان دفاعاً عنه والاحتجاج له ورد طعن الطاعنين وكيد الكائدين.

فأسـباب التأليـف هذه فـي معاني القـران الكريـم كانـت تمثـل اللبنة الأولى والإشارة إلى وضع أسس نظرية إعجاز القرآن.

هـذه الإشـارات قـد اتخـذت عدة مسـارات ومناهـج، فالنحـوي مثـل الكسائي والفراء جعلا من اللغة وسيلة لبيـان معاني القـران واعرابها واللغوي كأبي عبيدة جعل اللغة أساسـاً لتيسير معاني القران من خلال تفسـير غريب القران، فيما سلك الجاحظ وابن قتيبة منهجـاً بيانيـاً، إذ جعـلا مـن البلاغـة وسـيلتهما لتوضيح ما أشكل فهمه من القران وتأويله.

إذن نجد في سـبب التأليف لكتب معانـي القـران كانـت تمثل الإشـارة الأولى لانبثاق فكرة إعجاز القرآن.

إذ كان أبـو عبيـدة يؤشـر إلى أن

القـران نزل بلغة العـرب وإنهم عجزوا عـن معارضته، وإن مـا جاء به من لفظ فهـو عربي فصيـح مبين، قـال: (ومن زعـم أن طه بالنبطية فقـد أكبر، وان لـم يعلم، فهو افتتاح كلام وهو اسـم للسورة وشعار لها)[١٣].

أما الفراء فقد كان يؤشر لإعجاز القرآن من خـلال نظم القران المعتمد على الحذف والإضمار وتعدد القراءات للفظـة الواحدة التي توجب تعدد وجوه الإعراب والتي يكون من نتاجها تعدد المعنى.

بيـد أن الجاحـظ قـد صـرح بـأن القران معجـز بنظمه فقـال: (ولو أراد أنطـق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القـران وطبعـه وتأليفـه ومخرجه، لما قدر عليـه ولو اسـتعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان)[١٤].

أمـا تلميـذه ابـن قتيبة، فقد أشـار بعبـارة واضحة جلية إلـى إعجاز القران ونكـوص العرب عن الإتيان بمثله بعد أن قـدم المعجزة نبي اللّه موسـى عليه السلام وعيسـى عليه السلام فقال: (وكان لمحمد صلى الله عليه وآله الكتـاب الـذي لـو اجتمعـت الأنـس والجـن علـى أن يأتـوا بمثله لـم يأتوا بـه، ولـو كان بعضهم لبعـض ظهيراً على سـائر زمن البيـان)[١٥]، ثم قال في موضـع آخـر مؤكداً إعجـازه بعجيب نظمه وحسـن تأليفه: (وقطع منه معجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن المتكلفين)[١٦].

ثـم نجـد المبـرد (ت ٢٨٥هـ) قد قـارن بيـن نظم القـران ونظم الشـعر ليدلّنـا علـى علوّ كعب بلاغـة القران وتأخر الشـعر في نظمه عنها فعقد عدة مقارنـات منها مقارنته بين قول مروان ابن أبي حفصة:

زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيدها إلا كعلم الأبـاعر
لعمرك ما يدري البعير إذا عدا
بـأوساقه أو راح في الـغرائر

وبيـن قولـه تعالـى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)[١٧]، وغيرها من المقارنات الأخرى.

هـذه الإشـارات التي تحـدّث عنها تمثـل اتجاه النظـم في إعجـاز القران الكريـم، بيد أن هناك إشـارات تمثل اتجاهـاً آخر مغايراً للاتجـاه الأول، إذ لا يعد البلاغة والنظم سـبيل إعجاز في القـران الكريـم؛ وان الخلق قادرون علـى أن يأتوا بمثله، لكـن اللّه تعالى صـرف هممهـم وسـلب عنهـم العلوم وأقعدهم عن معارضته، وهو ما يسمى بـ(الصرفة).

إن أول من قال بالصرفة من العلماء أبو إسـحاق النظـام (ت ٢٢١هـ) عندما زعـم (أن نظـم القـران وتأليفـه ليسـا بحجـة للنبـي صلى الله عليه وآله، وإن الخلـق قادرون على مثله)[١٨]، وتبعه في ذلك أبو موسى المـردار (ت ٢٢٦هـ) مخالفـاً لـرأي أستاذه بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ).

وقـد ذهـب الجاحظ كذلـك إلى القول بالصرفة إذ يقول: (ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عـن المعارضة للقران بعـد أن تحداهم الرسـول بنظمه، ولذلـك لم نجد أحداً

طمع فيه)[19]، فهو يقرر عجز العرب عن معارضة القران بسبب من صرف نفوسهم عن ذلك بعد أن تحداهم ببلاغته وهذا مما يشكل ميلاً عن رأيه الأول في أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه.

إن ما تقدم يمثل الإشارات الأولى التي تدل على معالجة العلماء المسلمين لهذه المسألة، وقد فتحت الباب على مصراعيه في التأليف في موضوع إعجاز القران سواء بالنظم أم بالصرفة، تأليفاً خالصاً أم على سبيل التنويه في مصنفات المؤلفين، وأول من بدأ بالتصنيف في هذا الموضوع محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ) بكتابه (إعجاز القران)، ثم تلاه الرماني (ت ٣٨٦هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القران)، وتبعه الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في كتابه (بيان إعجاز القران)، وجاء بعدهم القاضي الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه (إعجاز القران)، وقد ألف الشريف المرتضى كتابه في الصرفة (الموضح عن جهة إعجاز القران) وقد سماه مختصراً بـ(الصرفة)، وقد توج هذا الجهد والتضحية بأجلى صوره الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٢هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز)، إذ وضع أسس نظرية إعجاز القران بأتم صورها وأجلاها في نهاية القرن الخامس الهجري ■

(١) ابن فارس/ مجمل اللغة:٤٥٨ ـ مادة عجز.
(٢) ابن منظور/ لسان العرب: ٥٧/٩ ـ مادة عجز.
(٣) الشيخ البلاغي/ آلاء الرحمن: ٣/١.
(٤) الخوئي/ البيان في تفسير القران:٤٣.
(٥) سورة الاسراء/ الآية:٨٨.
(٦) سورة الصافات/ الآية:٦٩.
(٧) ياقوت الحموي/ معجم الشعراء:١٨٥/٢٠.
(٨) الأبيدي/ طبقات النحويين واللغويين:٧٠.
(٩) م. ن.:١٣٢.
(١٠) رسائل الجاحظ:٢٨٧/٣.
(١١) سورة آل عمران/ الآية:٧.
(١٢) ابن قتيبة/ تأويل مشكل القران:٢٣.
(١٣) أبو عبيدة/ مجاز القران:١٧/١.
(١٤) رسائل الجاحظ:٢٢٩/٣.
(١٥) ابن قتيبة/ تأويل مشكل القران:١٧.
(١٦) م. ن.:١١.
(١٧) سورة الجمعة/ الآية:٣٩.
(١٨) الخياط/ كتاب الانتصار:٢٨.
(١٩) الجاحظ/ الحيوان:٨٩/٤.

أمتي الحامدون

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سئل رسول الله ﷺ أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قط، لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هادياً مهدياً، حتى أخذ الله بالنبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري، ورقى بي إلى سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه، أمتي الحامدون وذو العرش محمود وأنا محمد.

معاني الأخبار للصدوق ص:٥٥

مزار زی

ـــــد بـن عـلي (ع)

رمز الإبـاء
ومنبع الكرامات

- استطلاع: حيدر الـجد
- تصـــوير: ضرغام كمونة

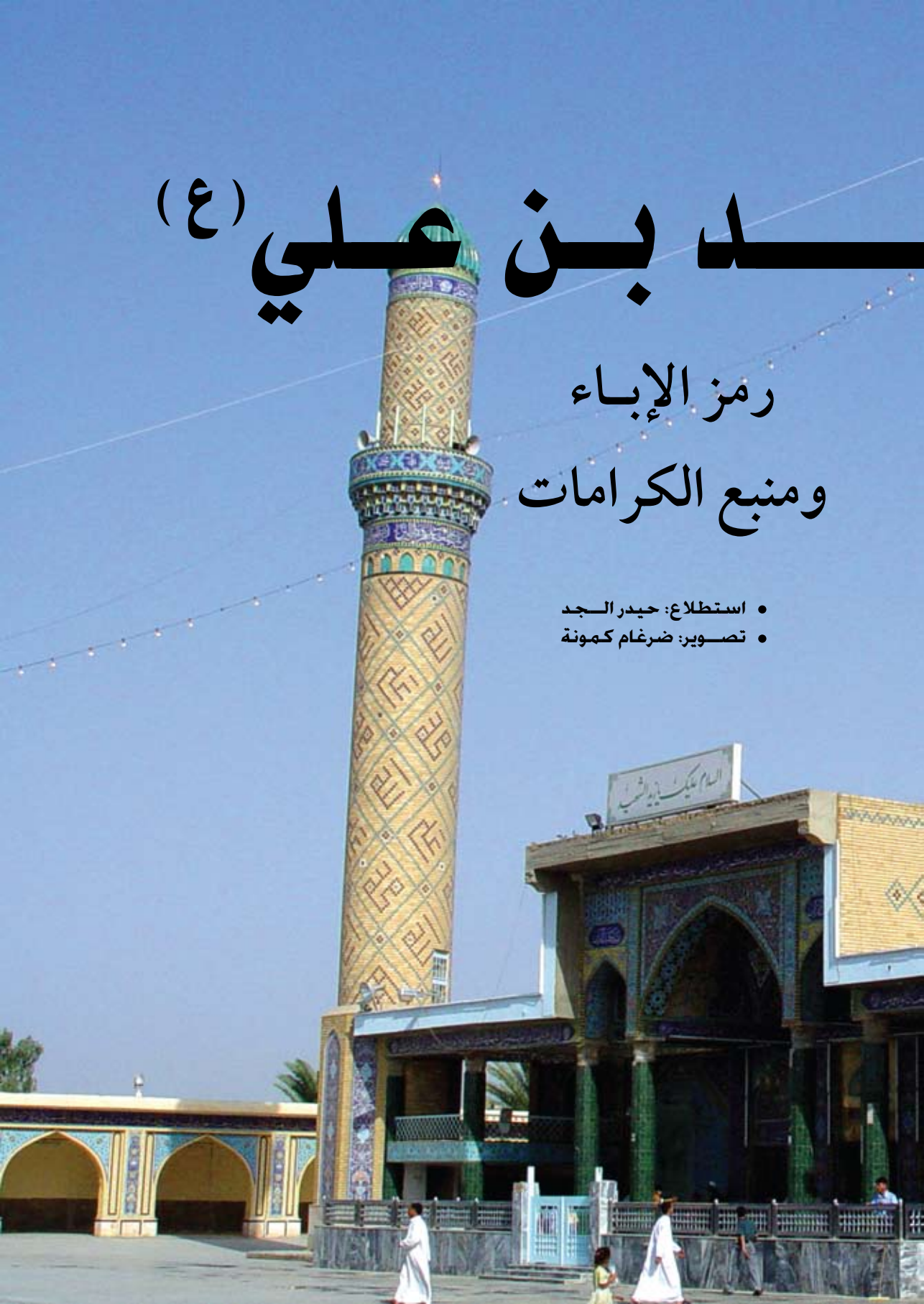

استطلاع المجلة

قال زيد بن علي الثائر:

«لم يكره قومٌ قط حرّ السيوف إلا ذلّوا»

المدخل الرئيس لمزار زيد بن علي عليه السلام

شاءت الحكم الإلهية أن ترفع للأحرار والثوار الذين يطلبون الحق ويرفضون الباطل بيارق نور تبقى على مر الأيام مشرعة خفاقة في سماء المجد وذرى الخلود، ومن الطبيعي أن تبقى الذاكرة المرتبطة بهؤلاء القادة المضحين رهينة المكان والزمان، إذ تتجدد ذكرى تضحيتهم في كل سنة، ويؤم مشاهدهم ومقاماتهم الناس، لا ليمجدوا ضريحاً أو هيكلاً ولا ليتمسحوا بحديد أو فضة أو ذهب بل ليأخذوا من أرواح هؤلاء قبساً يستضيئوا به في أنفاق هذه الدنيا المظلمة، المليئة بصور الإرهاب، إرهاب الفكر والجسد.

وكان لنا وقفة على مشهد من المشاهد، طاول السماء برفعته وافتخرت تلك النواحي بقبته، فكان مناراً يشير من بعيد وكأنه يقول من شاء أن يتعلم معنى الإباء فليقصدني، أو كأنه يردد قول من رقد فيه ليلة من الزمن (لم

مزار زيد بن علي(ع) رمز الإباء ومنبع الكرامات

يكـره قوم قط حر السـيوف إلا ذلوا)، إنه مقام الشـهيد زيد بن علي السجاد بن الحسـين الشـهيد بن علي أمير المؤمنين عليهم السلام، الذي زرناه وسجلنا خلال زيارتنا له اسـتطلاع مجلتنا شـذرات من حياة هـذا البطل الهاشـمي ومن سـيرته سـتكون مدخـلاً مبـاركاً وعلـى الله توكلنا وبه نستعين.

زيد بن علي[٤] نظرة عامة:

في بيـت لم يبلغ مثله بيـت على وجه الأرض، ولد زيد بن علي السجاد عليهما السلام في المدينة المنورة، وقد اختلفت الروايات فـي تاريخ ولادته كمـا اختلفـت فـي تحديد سـنة استشـهاده وقـد جـاء هذا الاختلاف نتيجة للتعتيم الإعلامـي الـذي كانـت مارسـته السـلطة الأموية اتجاه الثوار بصـورة عامة، ومنهم الذين ينتمون إلى أهل البيت عليهم السلام بصـورة خاصة، وإذا علمنـا أن التاريـخ قـد دونته أقلام مأجورة اشترتها بنو أمية لتحق الباطل وتبطل الحـق وتشـوش الوقائـع، فمـا كان مـن المؤرخيـن المتأخرين المنصفين إلا أن اعتمدوا القرائـن التاريخية فـي تحديد تلـك التواريخ، يمكـن القـول أنه ولد عليه السلام سنة (٦٦هـ) أو (٦٧هـ) بعد طلـوع الفجر هذا وقد سـر الإمـام زيـن العابديـن عليه السلام بمولده، ينقل لنا صاحب الإمام السجاد عليه السلام أبـو حمـزة الثمالـي قولـه: (حججـت، فأتيت علي بن الحسـين فقـال لي: يا أبا حمـزة ألا أحدثك عن رؤيا رأيتها؟ رأيت كأنـي أُدخلت الجنـة، فأُتيـت بحوراء لم أر أحسـن منها، فبينـا أنا متكئ على ركبتي إذ سمعت قائلاً يقول: يا علي بن الحسين! ليهنك زيد، يا علي بن الحسين، ليهنـك زيـد، فليهنـك زيـد. قـال أبـو حمزة: ثـم حججت بعـده فأتيت علي بن الحسـين عليه السلام فقرعـت البـاب، ففتـح ودخلت، فـإذا هو حامل زيـد على يده، أو قال حاملاً غلامـاً على يده، فقال لي:

قبة المزار الشامخة، وفي النية تذهيبها كاملة عن قريب

استطلاع المجلة

يا أبا حمزة (هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً)[1].

عاش زيد عليه السلام في كنف أبيه الذي رأى فيه ذلك النموذج الفريد من العبّاد حتى صار زينهم وسيدهم، وقد نمت في ذاكرة زيد عليه السلام فكرتان، إحداهما نهضة جده الحسين عليه السلام، وأخرى عبادة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام، وما أن كبر وبلغ حتى أخذ يجسدهما في ساحة الواقع، فأصبح عليه السلام حليفاً للسيف والقرآن كناية عن البطولة والعبادة وهاتان الخصلتان ليستا بغريبتين عن البيت الهاشمي ففي جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جمعتا من قبل.

أما عن عطف أبيه عليه السلام اتجاهه فيحدث زيد عليه السلام قائلاً: (كنت أجلس مع أبي على الخوان، فيلقمني البضعة السمينة ويبرد اللقمة الحارة شفقةً علي)[2].

أما أمه فهي من العابدات القانتات، وقد اختلفت الروايات في تسميتها وهذا الاختلاف وارده في الجواري ولكن الأكثر تداولاً بين المؤرخين أسماء ثلاث: (حوراء، جيدا، حيدا)[3]، أهداها المختار ابن عبيدة الثقفي للإمام علي بن الحسين عليه السلام، فتزوجها، وولدت له زيداً، وعمراً وعلياً وخديجة[4].

أما زوجته فكانت ريطة بنت أبي هاشم محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية[5] فولدت له يحيى قتيل الجوزجان ثم تزوج باثنين عندما كان في الكوفة وهما ابنة عبد الله بن أبي العنبس الأسدي، وابنة يعقوب بن عبد الله السلمي، ثم تزوج بأم ولد فجاءت له بثلاثة أولاد: (عيسى، والحسين، ومحمد)، وبهذا يكون للإمام زيد أربعة أبناء وبنت واحدة[6].

أقوال النبي(ص) والأئمة[4] فيه:

١- عن حذيفة بن اليمان قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زيد بن حارثة فقال: (المقتول في الله والمصلوب في أمتي، والمظلوم من أهل بيتي (سمي) هذا، وأشار بيده إلى زيد بن حارثة، فقال: أدن مني يا زيد، زادك أسمك عندي حباً، فأنت سمي الحبيب من أهل بيتي)[7].

٢- عن الإمام الحسين عليه السلام قال: وضع رسول الله يده على كتفي، وقال: (يا حسين! يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة غراً محجلين)[8].

٣- روى بن قولويه قال: (روى بعض أصحابنا، قال كنت عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام فكان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس فجاؤوه يوم ولد زيد، فبشروه به بعد صلاة الفجر، قال فالتفت إلى أصحابه وقال: أي شيء ترون أن أسمي هذا المولود؟. فقال كل رجل منهم: سمه كذا، سمه كذا، قال فقال: يا غلام عليّ بالمصحف، فجاؤوا به، فوضعه على حجره ثم فتحه فنظر فإذا فيه (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) قال: ثم طبقه، ثم فتحه فنظر فإذا أول الورقة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم... هو الفوز العظيم) (سورة التوبة/ الآية:١١١) ثم قال: هو والله زيد، هو والله زيد. فسمي زيداً)[9].

٤- أما الإمام الباقر عليه السلام فقد نوه عن

الحرم المطهر يتوسط صحن كبير تحيط به الأواوين من الجهات الأربعة

فضل أخيه زيد عليه السلام عدة مرات بأحاديث شتى، كلها تدل على علو مقام زيد عليه السلام ورفعة شأنه منها عن أبي الجارود قال: إني جالس عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إذ أقبل زيد فلما نظر إليه وهو مقبل، قال: (هذا سيد أهل بيته والطالب بأوتارهم، لقد أنجبت أمٌ ولدتك يا زيد)[10].

٥- وللإمام الصادق عليه السلام مع زيد عليه السلام وجلالة قدره أحاديث كثيرة، فقد عاصره وعاصر ثورته واستشهاده، وقد أثرت شهادة زيد عليه السلام في الإمام الصادق عليه السلام أيّما تأثير وقد روى الصدوق بالإسناد عن الصادق عليه السلام أنه قال: (لا تقولوا خرج زيد فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعا إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ولو ظفر لوفى لما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه)[11].

٦- أما الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقد دافع عن مواقف زيد بن علي عليه السلام بحضرة المأمون قائلاً: (إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وأنه كان أتقى لله من ذلك إنه قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أن الله نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد بن علي والله فمن خوطب بهذه الآية (وجاهدوا في الله حق جهاده))[12].

آثـــاره:

عـاش زيـد عليه السلام فـي كنـف والـده زين العابدين خمسـة عشـر عاماً أو يزيد وبعد استشـهاد والده عـام ٩٥هـ، كفله أخـوه الإمـام الباقـر عليه السلام فهـو ربيـب الباقـر عليه السلام ، عـاش فـي رحـاب عطفـه وحنانه بعد استشـهاد أبيه واغترف العلم والتقوى من نبعه الفياض.

وقد سار زيد عليه السلام على نهج والده محباً للعبادة، فعن عاصم بن عبيد الله قال: (أنا أكبـر منه - أي: زيد - رأيته بالمدينة وهو شاب يذكر الله عنده، فيغشى عليه حتى يقول القائل: ما يرجع من الدنيا)[١٣].

أمـا أبـو حنيفـة النعمـان فيجمـل صفات زيـد عليه السلام في حديث واحد بقوله: (شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله فمـا رأيت في زمانه أفقـه منه، ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع النظير)[١٤].

وقـد بلغ زيد عليه السلام درجـة علمية راقية متـى كان (يطـوف علـى بعض رؤسـاء المذاهب والتيارات الأخرى كواصل بن عطاء، لمناقشـتهم في مسائل العلم، بعد أن استوعبها من مصدرها الأصيل، ويبين لهـم موقع أئمة أهـل البيت عليهم السلام ودورهم في حفظ الإسلام والأمة)[١٥].

يقال أن أصدق ما يمدح الإنسان عدوه، فالعـدو غالباً ما ينتقص من الإنسـان لذا تكون عبارات التقييم التي يبديها اتجاهه كأشد ما يكون لذا نرى هشام بن عبد الملك يقيّم زيد عليه السلام في كتاب بعثه لعامله يوسـف بن عمر يقول فيه: (وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين - يقصد نفسه - في خصومـة فرأى - أي: هشـام - رجـلاً جدلاً لسـناً حوّلاً قلّباً خليقاً بصوغ الكلام وتمويهـه، واجتـرار الرجال بحلاوة لسانه وكثـرة مخارجه في حججـه، ومـا يدلـي بـه عنـد الخصام من العلـو علـى الخصـم بالقـوة المؤديـة إلى الفلج)[١٦].

ولابـد لرجـل عالم، بهذا المستوى الراقي أن يكون من (كبار علماء الرعيل الأول، الذين أرسـوا

صورة لإحدى المنارتين اللتين يقعان على جانبي الحرم

مزار زيد بن علي عليه السلام رمز الإباء ومنبع الكرامات

أسس الدراسات الفقهية والكلامية، والتفسيرية وغيرها من علوم ديننا الحنيف ولغة القرآن الكريم)[١٧]، وقد ترك لنا تراثاً علمياً ضخماً، بثه في كتبه وهي[١٨]:

١- الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

٢- أجوبة زيد بن علي على مسائل لأخ له من أهل المدينة.

٣- الإمامة، رسالة أرسلها إلى واصل بن عطاء.

٤- تأويل مشكل القرآن أو (تفسير سور الفاتحة وفي جوابه على مسائل من كتاب الله سبحانه وتعالى).

٥- تثبيت الإمامة وقد ينسب إلى يحيى بن الحسين الهادي إمام الزيدية.

٦- تفسير غريب القرآن.

٧- جواب على خالد بن صفوان في أمر عثمان بن عفان.

٨- رسالة في حقوق الله.

٩- الرد على المرجئة.

١٠- الصفوة.

١١- قراءة زيد بن علي.

١٢- المجموع الحديثي.

١٣- المجموع الفقهي.

١٤- مدح القلة وذم الكثرة.

١٥- منسك الحج.

١٦- الوصية والإمامة.

إضافة لذلك فقد رويت بواسطته عدة روايات ضمها كتاب مسند الإمام زيد بن علي.

إضافة لما بلغناه من آثاره عليه السلام المخطوطة فقد آثر عن زيد عليه السلام مجموعة من الأشعار تنبي عن شاعر متمكن من المفردات، فمن شعره يمدح أمير المؤمنين عليه السلام:

من شرّف الأقوام يوماً برأيه
فإن علياً شرفته المناقب
وقول رسول الله والحق قوله
وإن رغمت منهم أنوف كواذب
بأنك مني يا علي معالناً
كهارون من موسى أخ لي وصاحب
دعاه ببدر فاستجاب لأمره
ومازال في ذات الإله يضارب
فمازال يعلوهم به وكأنه
شهاب تلقاه القوابس ثاقب

كما رثى أخيه الإمام محمد الباقر عليه السلام قائلاً:

ثوى باقر العلم في ملحد
إمام الورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده
إمام الورى الأوحد الأمجد
أبا جعفر الخير أنت الإمام
وأنت المرجّى لبلوى غد

فيمن كتب عنه ومن رثاه:

ترجم لزيد بن علي عليه السلام أصحاب السير والتاريخ والأثر تراجم عديدة وقد أفرد بعضهم كتباً خاصة بحياته (صلوات الله عليه وعلى آبائه) وثورته ونحن نذكر من هذه:

١- زيد الشهيد، وقد ألفه سماحة العلامة المرحوم السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم.

٢- زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت، للشيخ نوري حاتم.

٣- الشهيد زيد بن علي والزيدية،

استطلاع المجلة

لسماحة العلامة المرحوم السيد محسن الأمين العاملي.

٤- زيد بن علي بن الحسين، للكاتب علي محمد دخيل.

٥- ثورة زيد بن علي، للكاتب ناجي حسن.

٦- زيد بن علي، للشيخ محمد رضا كاشف الغطاء عني بتحقيقه الأستاذ خليل المشايخي.

٧- زيد بن علي، جهاد حق دائم، إبراهيم بن علي الوزير.

٨- الإمام زيد بن علي، محمد أبو زهرة.

أما من رثاه فقد وجدنا جماعة من الشعراء رثوا زيد عليه السلام وامتدحوا مواقفه وعابوا على بني أمية قتله ومنهم:

١- الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث.

٢- أبو ثميلة الأبار صالح بن ذبيان.

٣- الصاحب بن عباد.

٤- أحمد شوقي.

٥- الشيخ صالح الكواز الحلي.

٦- الشيخ محمد علي الأردوبادي.

٧- السيد مهدي الأعرجي، وغيرهم.

ثورة زيد[٤]:

لعل الواقع الذي عاشه زيد عليه السلام كان أهم عامل أجج فكرة الثورة والكفاح ضد الحكومة القائمة آنذاك المتمثلة بأميرها هشام بن عبد الملك الذي تولى السلطة سنة (١٠٥هـ)، حيث استشرى الظلم واستفحل الاستبداد فالرعية تعيش فقراً مدقعاً، والأسر الأموية والمروانية تعيش حياة الرفاهية والدعة، (وفي تلك الفترة الزمنية تفشى الظلم والفساد والمذابح وسياسة القمع والتجويع حتى استطاع الحاكم الأموي السيطرة على الناس وبالتالي فصل الأمة عن القيادة الشرعية

البوابة الذهبية، إحدى مداخل الحرم المطهر

مزار زيد بن علي[٤] رمز الإباء ومنبع الكرامات

وهم أهل البيت عليهم السلام من خلال فرض الرقابة وملاحقة الأنصار، وتعطيل الحدود، وإسقاط السنن الإلهية)[١٩]، في حين ذكر زيد عليه السلام بنفسه جانباً من الأسباب التي دعته للثورة فيقول لجابر بن عبد الله الأنصاري: (إني شهدت هشاماً ورسول الله يسب عنده ولم يُنكر ذلك، ولم يغيره، فوالله لو لم يكن إلا أنا وآخر لخرجت عليه)[٢٠].

وفي نص آخر يقول: (إنما خرجت على الذين قاتلوا جد الحسين)[٢١] وفي آخر يقول: (إنما خرجت على الذين أغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار)[٢٢].

عموماً يمكن القول أن الأسباب التي دعت زيداً للثورة يمكن تلخيصها في نقاط:

١- الواقع الفاسد الذي كانت تعيشه الأمة أنذاك.

٢- الثأر لشهداء كربلاء وعلى رأسهم أبي الضيم الحسين عليه السلام.

٣- مواقف هشام اتجاه زيد عليه السلام وما أبداه من انتقاص وتجاهل لشخصيته حينما دخل مجلسه.

ولكن التساؤل الذي يبقى في الأذهان هو كيف اعتمد زيد عليه السلام على وعود الكوفيين وقد بيّنت له تجربة جده الإمام الحسين عليه السلام أنهم ينكلون ويغدرون؟!

وهنا نجمل ذكر الواقعة، فبعد أن قدم زيد عليه السلام من الشام إلى الكوفة وبقي فيها فترة ثم أراد الانصراف نحو المدينة، فأقبل إليه الأشراف من أهل الكوفة وقالوا: (أين تخرج رحمك الله ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة، وخراسان، ويضربون بني أمية بها دونك... وليس قِبلنا من أهل الشام إلا عدّة)[٢٣]، فلما رأى منهم زيد عليه السلام ذلك (أقام في الكوفة ثائراً وبايعه أصحابه بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب

الحرم المطهر لمزار زيد بن علي عليه السلام

استطلاع المجلة

الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، وإقفال المجمر، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا، وجهل حقنا، أتبايعون على ذلك فإذا قالوا نعم وضع يده على يده، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي، ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قالوا نعم مسح يده على يده، ثم قال: الله اشهد)[٢٤] فانهالوا عليه من كل حدب وصوب بالألوف يقرون له بالطاعة ويبينون له أنهم باقون معه يفدونه بالأرواح ويمنونه بالنصرة حتى اجتمع عنده ديوان به أسماء أربعين ألف مقاتل!!

في الوقت ذاته كان والي العراق خالد بن عبد الله القسري واقعاً تحت تهديد الخليفة هشام بسبب ما يتناقل إليه من أخبار ووشايات ضد خالد، فقام بعزله وكلف مكانه رجلاً من ألد أعداء خالد القسري وهو يوسف بن عمر الثقفي الذي كان والياً على اليمن، في هذه الفترة كان يوسف بن عمر مشغولاً بمحاسبة خالد وعماله السابقين فلم تصل إليه أخبار مبايعة أهل الكوفة لزيد عليه السلام، حتى انتقلت الأخبار إلى هشام بن عبد الملك فأرسل ليوسف يوبخه ويعلمه بحركة زيد بن علي عليه السلام، فأخذ يوسف بالبحث عن زيد عليه السلام والتضييق عليه، وأما زيد عليه السلام فقد لاحظ بوادر التفكك في معسكره واختلاف الآراء فقرر الإقدام على الخروج قبل الموعد المعين له وقد وصل هذا التوقيت إلى الوالي يوسف بن عمر عن طريق جواسيسه الذين اخترقوا أصحاب زيد عليه السلام وقاموا بنقل الفعاليات أول بأول.

تحرك زيد عليه السلام يوم الأربعاء الأول من صفر سنة (١٢٢هـ) وأرسل فرسانه يعلنون الثورة وشعارهم يا منصور يا منصور، فلم يجتمع سوى ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً فقط لا غير من أصل أربعين ألفاً، وفي الوقت ذاته يزحف يوسف بن عمر الثقفي بجيشه وتدور رحى الحرب الغير متكافئة ورغم ذلك يصمد زيد عليه السلام ومن معه في القتال أمام ذلك الجيش، فلما كان يوم الخميس الثاني من صفر واصل زيد عليه السلام بطولاته، إلا أن الجيش رشقهم بالسهام فوقع سهم منها في جبين زيد فحمله أصحابه تحت جنح الظلام وطلبوا له طبيباً ولكنه ما أن نزع السهم من دماغه حتى مات رحمه الله فدفنه أصحابه في حفرة من الطين ثم أجروا عليها الماء حتى لا يعثر عليه أحد.

وفي قضية دفنه يذكر التاريخ (وكان ابن زيد عليه السلام يحيى حريصاً على أن يدفن أباه بحيث لا يعلم بقبره أحد، فدفنه بموضع من دار الجوارين في ساقية وردمها ووضع عليها النبات وقال بعضهم أن أصحابه انطلقوا به إلى العباسية، ولكن أحد الذين علموا بمكان الدفن أنبأ الأمويين، ومثلوا بصاحبها ونصبوه مصلوباً في كناسة الكوفة مع نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق الأنصاري وزياد النهدي بأمر من هشام، ثم بُعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فأمر به فنصب على باب دمشق ثم أُرسل إلى المدينة حيث نصب عند قبر النبي صلى الله عليه وآله يوماً وليلة، وفي زمن الوليد بن يزيد

مزار زيد بن علي[٤] رمز الإباء ومنبع الكرامات

أحد الأروقة المحيطة بالحرم المطهر، وقد خصص هذا الجانب للرجال

كتب إلى يوسف بن عمر قائلاً: (إذا أتاك كتابي هذا فانظر إلى عجل أهل العراق فأحرقه وأنسفه في اليم نسفاً فأحرقوا الجثة وذروا رمادها في الفرات وقال: (والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم)[٢٥].

وقفة مع الدكتور جودة القزويني:

يرى الدكتور جودة القزويني خلال عرضه لمرقد زيد بن علي عليه السلام في كتاب المزار للسيد مهدي القزويني بقوله: (إن الإمام زيد كان حاكماً على العراق، ولم تكن هناك ثورة كما صورتها المرويات، كما لم تتم عملية قتله بهذه الطريقة الملفقة التي دُست في كتب المؤرخين والمحدثين.

أما حادثة صلبه عليه السلام، وما اتصل بها من اتخاذ الفاختة جوفه عشاً لها، أو ببقاء جسده مصلوباً منكساً مقطوع الرأس، أربع سنوات كاملة، وغير ذلك فلا واقع لها في سيرة هذا الإمام العظيم.

أما شهادته فهي قطعاً قائمة إلا أن فاعليها مجهولون عندنا، فلابد أن مقتله كان تم بطريقة ما إلا أنها بلا شك ليست تلك التي رويت في كتب التاريخ بهذه الطريقة المريبة المفككة أما موضع قبره فهو الموضع الذي أثبته الإمام القزويني وحدده في كناسة الكوفة إلا

أن جسد الإمام زيد لم يحرق، كما شاع ذلك...).

ثم يضيف: (...لقد أبطلنا الروايات التي تنبي بوقوع نبش قبر زيد، وصلبه في كتابنا (تهشيم التاريخ) وأثبتنا وقوع عملية القتل فقط دون الدخول في التفاصيل)[٢٦].

وللأسف فقد حاولت جاهداً العثور على كتاب تهشيم التاريخ فلم أستطع كما أن كتاب (تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية) الذي حصلت عليه للمؤلف لم يتطرق لحادثة مقتل زيد عليه السلام فهو يؤرخ من العصر البويهي إلى نهاية العصر الصفوي الأول (٣٠٠-١٠٠٠هـ /٩١٢-١٥٩١م) إلا أننا لا نعلم هل استطاع الدكتور جودت القزويني أن يفند ما أثبتناه من أحاديث، أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله من كونه المصلوب بالكناسة، هذا وقد اطلعت على عدد من الكتب التي كتبت في زيد بن علي عليه السلام ووقفت على حادثة قتله فلم أر إشارة من قريب أو بعيد لعدم صلبه ولِمَ لا يفعلوا بنو أمية هذه الفعلة النكراء وتاريخهم يشهد بمواقفهم الإجرامية أليس يقول ذاك الشاعر الأموي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة
ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

هذا وقد وصل هذا البيت للإمام الصادق عليه السلام فرفع يديه وهما يرتجفان وقال: (اللهم أذقه نار الدنيا قبل نار الآخرة). كما ويعارض ما ذكره الدكتور جودة القزويني، حميد الزيدي في كتابه (الحدائق الوردية) حيث يذكر (فلما ظهر يحيى بن زيد، كتب الوليد إلى يوسف بما كان من صلبه - أي: زيد عليه السلام - فأمر به يوسف عند ذلك خراش بن حوشب فأنزله من جذعه، فأحرقه بالنار ثم جعله في قواصر ثم حمله في سفينة ثم ذراه في الفرات وروى أن رماده اجتمع في الفرات حتى صار مثل هالة القمر يضيء شديداً وموضع ذلك

باب الشباك الفضية وعليها نقوش من الآيات القرآنية

مزار زيد بن علي[ع] رمز الإباء ومنبع الكرامات

إبداع الفن الإسلامي يتجلى ملامحها واضحة في هذه الصورة

معروف يستشفى به)[٢٧].

تاريخ المزار:

يذكر السيد مهدي القزويني ما نصه: (ولزيد بن علي في موضع صلبه وحرقه من كناسة الكوفة قبر مشهور وعليه قبة وهو من المزارات المقصودة)[٢٨]. وقال الشيخ حرز الدين: (...مشهده عامر بالزائرين والوفود في ليالي الجمعات والمواسم الإسلامية، ويقع في الشرق الجنوبي لقرية الكفل، يبعد عن حدود الفرسخين عنه، وهذا المشهد هو موضع دفنه وإقباره)، ثم يضيف حفيد الشيخ حرز الدين في هامش الموضوع: (وله رسم قبر رمزي عليه الستور النفيسة، فوقه شباك حديد، جميل الصنع، أثري المنظر، في وسط هرم طوله وعرضه (٦×٦) متر، مفروش بالسجاد إلى جانبه رواق للزائرين، وكان حرمه مجهزاً بالمعلقات والثريات وأنواع المصابيح الكهربائية، تظله قبة ضخمة عالية البناء، وأمام مشهده طارمة بخمس اسطوانات، مسقوفة يحوطه صحن طوله وعرضه (٨×١٠) اسطوانات، وفي مدخل صحنه طارمة مسقوفة ببناء مسلح ضخم أشادها بعض المحسنين من أهل الخير، رأيناها محتشدة بالزائرين، وحول مشهده بيوت يقيم فيها بعض سدنته)[٢٩].

نحن والمشهد الزيدي المطهر:

اتجهت بنا السيارة التي تقلنا من النجف الأشرف باتجاه مرقد زيد بن

استطلاع المجلة

علي عليه السلام الذي يبعد عن النجف (٤٠كم) تقريباً والذي يقع على بعد (١٥كم) تقريباً من الطريق العام بين النجف والحلة على يسار الذاهب إلى الحلة، تحيط بالمقام الطاهر البساتين والأراضي الزراعية، ويشغل عشرة آلاف متر مربع.

يتضمن المرقد صحن كبير تحيط به أروقة تمتد على طول الأضلاع الأربعة، ويمكن الدخول للصحن عن طريق أربعة مداخل رئيسية تقع في منتصف جانب، ولكنها اليوم مغلقة باستثناء البوابة الرئيسية التي يطلق عليها (باب القبلة)، التي يليها ممر مسقف مطل على الصحن الشريف، تتوسط الصحن عمارة المقام التي تتألف بدورها من الطارمة المسقفة، وقد غلّفت جدرانها الداخلية والخارجية بالمرمر كما زخرف سقفها بالمرايا، التي أضفت عليها حلّة عمرانية جمعت بين الإتقان والجمال، كما تبدو المنارتان اللتان تقعان على جانبي عمارة المقام يبلغ ارتفاع كل واحدة منهما (٣٣) متراً وقد غلفت بالكاشي المزخرف ويمكن الدخول إلى الحرم من ثلاث أبواب موزعة بانتظام على الواجهة القبلية، أما الحرم فلا أبالغ إن وصفته في كونه آية من آيات الفن المعماري حيث الفضاءات المقسمة وفق ذوق هندسي رفيع وسقوف مزينة بأنواع الزخارف الإسلامية وجدران غُلفت بالكاشي الكربلائي الذي زينته الآيات القرآنية ذات الخط المميز كما زُين ببعض القصائد التي أشادت ببطولات زيد عليه السلام وتضحيته وشهادته، إضافة لذلك يُلاحظ كتابة سيرة زيد بن علي عليه السلام على الجدران الداخلية في المقام الشريف في ثلاث أماكن وذلك لتعريف الزائر الكريم بشخصية صاحب المقام.

تبلغ مساحته حوالي (١٠٠) متر مربع يحيط بالشباك الذي يحتل مركز المقام أروقة واسعة ذات أقواس إسلامية خصص الجانب الأيمن منها للرجال، والأيسر للنساء، أما الشباك فهو الآخر يُعد نموذجاً رائعاً من نماذج الفن، حيث حوى جميع مواصفات العمل الناجح من نقش وزخرفة وتشكيل، والشباك عبارة عن صندوق مستطيل كبير بأبعاد (٥×٥،٣) متر يحتوي الضلع الطويل على أربعة شبابيك، والأصغر يحتوي على ثلاثة منها، يعلو الحرم قبة ضخمة بارتفاع (٣٠) متر وقطر (١٠) متر يتوسطها طوق خُطت عليه الآية الكريمة (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً...) وأسفله طوق آخر خُطت سورة الدهر، أما من الخارج فقد غُلفت القبة بالكاشي الكربلائي المزخرف وفي النية تذهيب القبة بكاملها، إذ تم جمع ما يقارب (٣٠٠) قطعة من الطابوق المذهب.

حركة الأعمار والتطوير:

وخلال زيارتنا للمقام الطاهر التقينا بأحد السدنة وهو السيد عبود كاظم الحسيني الذي رحب بنا وحدثنا عن المقام قائلاً: (قبل أربعين سنة أدركت المقام وهو عبارة عن حجرة مربعة صغيرة مسقفة بجذوع النخل وتعلوها قبة بيضاء مغلفة بالجص الأبيض (واعتماداً على قول

مزار زيد بن علي(ع) رمز الإباء ومنبع الكرامات

ركن من أركان المزار المطهر

حرز الدين فقد بنيت القبة الضخمة في الستينيات من القرن الماضي) وفي سنة (١٩٧٥م) زارنا مجموعة من أهل النجف وهم السيد جابر السعبري والحاج حسين الشوشتري والحاج إسماعيل النجفي والحاج كاظم الرويشدي، ولما وقفوا على حالة المقام أقروا حينها خطة عمل تتضمن إعادة إعمار المقام الطاهر وتشمل توسعة الصحن والحرم كما تم تزويد المقام بالكهرباء عن طريق الداينمو الذي نقل للمقام من مسجد السهلة.

كما يضيف السادن: (ويمكن القول إن البداية الحقيقية لإعمار المقام المبارك، كانت في عام (١٩٩٦م) حيث اتخذ العمل طابعاً جدياً بعد أن نُظمت اللجنة المشرفة على الإعمار بإدارة السيد جابر السعبري وأخيه السيد عبود، الذي لازال متابعاً لشؤون الإعمار في المقام وقد اعتمدنا على التبرعات التي كانت تصل اللجنة فترصدها للعمل الأكثر أهمية، انصبت الفكرة على توسعة الصحن، فأخذنا من الأراضي المجاورة له وبذلك أصبح الصحن يسع لعدد كبير من الزائرين ولا يسعنا هنا سوى أن نشكر العاملين والمتبرعين وهم كل من (الحاج حسون السبع، الحاج إبراهيم السراج، السيد جعفر الحسيني، الحاج توفيق أموري وولديه، الحاج حسين مزهر فخر الدين، الحاج عادل العسافي الدليمي، وغيرهم ممن أسدوا يد المعروف فأشتركوا في هذه الصالحات جزاهم الله خير الجزاء).

أما عن كرامات زيد بن علي عليه السلام فقد حدثنا السادن قائلاً: (مشهد زيد بن علي معروف بكراماته حيث شاهدناها بأعيننا كما شاهدها المحب والمبغض على حد سواء ولعل أهم كرامة جرت

استطلاع المجلة

هي حادثة مدير أوقاف بابل، حيث زارنا في عهد الطاغية رجل يُقال له عبد الجبار مع جماعة من مساعديه ورجاله، وقد لمحنا على وجهه طفحاً من الحقد، فتساءل عن الكيفية التي تتم بها عملية الإعمار فأجبناه أنها تعتمد على تبرعات المحسنين، فقال وكيف يتم صرفها؟ فقلنا بواسطة لجنة إعمار اعتمدت على مسؤول مالي ينظم الكشوفات المتعلقة بالصادر والوارد، فأجابنا بإمتعاض يجب أن يتوقف العمل وجعل يكررها ثم أضاف من الآن فصاعداً لستم مسؤولين عن الإعمار وكل المبالغ التي تصلكم، تحول لمديرية أوقاف بابل وسوف تتولى بنفسها عملية المتابعة ثم مزج غضبه بسخرية واستهزاء وهو يحادث أصحابه، وعندما دعوناه لتناول الغداء جاء مع رجاله إلى بيت من بيوت السدنة وعندما وضعت أمامه المائدة نادى بأعلى صوته: (جاءني، جاءني) ثم جعل يكرر ذلك وقد رأينا عينيه ابيضت وكلما راموا تحريكه لم يفلحوا فاستدعوا سيارة الإسعاف التي انطلقت به نحو المستشفى وفي منتصف الطريق احترقت فنقلوه إلى أخرى وقبل أن يصل المستشفى توفي فاتهمونا نحن السدنة بقتله وعندما نقلوه للطب الشرعي تبين لهم آثاراً لإطلاقات نارية بداخل الجسد ولا وجود لها عليه مطلقاً فعرفوا أنها كرامة جرت لزيد).

كما ينقل لنا كرامة أخرى جرت عند عملية صب الجدار في جانب من عمارة المرقد حيث كان العمال منهمكون في عملية الصب وبينما هم كذلك إذ انفتح القالب الخشبي الضخم الذين كانوا بداخله، الأمر الذي يؤدي إلى كارثة عادة، ولكن الذي حصل أن العمال لم يصب أي واحد منهم بأذى بل جميعهم سلموا.

أما عن حمايته لمن يلوذ به، فيحدث السادن: في سنة ١٩٩١م، وبعد انتكاس الانتفاضة الشعبانية، كان الجيش قد وصل إلى المفرق المؤدي إلى المزار وبالأثناء مرت بهم امرأة فقالت (إن الثوار قد التجأوا إلى مزار زيد بن علي) فلما سمعوا منها ذلك انهالوا بأسلحتهم يضربون المزار بالقذائف والمدفعية وما دار حوله من بيوت فكنا بحمد الله نسمع دويها ونرى وميضها، لكننا لم نصب ولم يصب الحرم كأن أحداً يقذف بها بعيداً عنا وعندما وصل الجيش إلينا قالوا: لم نتوقع وجود أناس أحياء هنا وظننا أننا سنجد جثثاً وخراباً!!

وغيرها من الكرامات التي بانت في هذه البقعة المباركة.

وقبل أن نختتم زيارتنا التمس منا السدنة أن نوصل عتبهم على ديوان الوقف الشيعي الذي لم يقف على احتياجات المقام والعاملين فيه فمكبرات الصوت قديمة وغير نافعة، وأما المسؤول الأمني الأخ أسعد عواد فقد طالب بعدة أمور كلها تصب في خدمة المقام منها توفير باجات خاصة برجال الحماية والحرس وتوفير نقاط تفتيش نظامية في مدخل المزار، وتوفير أسلحة وعتاد كاف لمواجهة أي طارئ لا سمح الله.

هذا علم خفاق في سماء المجد

مزار زيد بن علي(ع) رمز الإباء ومنبع الكرامات

والكرامة، باع الدنيا بالخلود، وبدل الذل بالعزة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ، الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ■

(١) الزيدي، الحدائق الوردية، ١٣٧/١، الغارات، ٨٦١/٢.
(٢) الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ٦٢/٣٣.
(٣) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٣٠٥، أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٣٢.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، حياة زيد، ابن قتيبة، المعارف، ٧٣.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ٣٢٥/٥.
(٦) الغريري، الزيدية بين الإمامية وأهل السنة، ص١٤٩.
(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٥٨/١٩.
(٨) الآلوسي، بلوغ الأرب، ص٧٣.
(٩) ابن إدريس، السرائر، ٦٣٨/٣.
(١٠) الصدوق، الأمالي، ص٣٣٥.
(١١) الأمين العاملي، زيد والزيدية، ص٣٣.
(١٢) عيون أخبار الرضا، باب ٢٥ ص٢٤٩.
(١٣) الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٧.
(١٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ٤٣٦/٢.
(١٥) حاتم، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت.
(١٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٢٣٨.
(١٧) الحكيم، مقدمة كتاب الصفوة للإمام زيد، ص٧.
(١٨) انظر: السبحاني، الزيدية في موكب التاريخ، ص١٢٥، الغريري، الزيدية بين الإمامية وأهل السنة، ص١٧٣.

عمليات البناء لاتزال قائمة ويبدو في هذه الصورة عملية إكساء الجدار الخارجي للصحن بالطابوق

(١٩) الغريري، الزيدية بين الإمامية وأهل السنة ص٢١٠.
(٢٠) الأربلي، كشف الغمة ٣٥٣/٢.
(٢١) البغدادي، الفرق بن الفرق ص٢٥.
(٢٢) المصدر السابق.
(٢٣) الطبري، تاريخ، ٢٦١/٨.
(٢٤) ابن الأثير، الكامل، ٢٣٣/٥.
(٢٥) الغريري، الزيدية بين الإمامية وأهل السنة، ص٢٢٧.
(٢٦) كمونه، مشاهد العترة الطاهرة، ص١٨٨
(٢٧) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص٢٥٠.
(٢٨) القزويني، المزار، تحقيق جودت القزويني، ص١٨٦.
(٢٩) حرز الدين، مراقد المعارف، ٣٢١/٢.

في رحاب الفقه

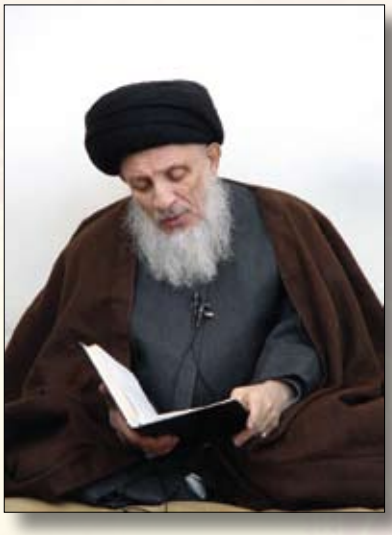

يعلن باب (في رحاب الفقه)
عن استعداده
للقراء الكرام في
استقبال أسئلتهم الفقهية،
والإجابة عنها في ضوء فتاوى
سماحة المرجع الديني الكبير
السيد محمد سعيد الطباطبائي
الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: شخص مريض بالفشل الكلوي ولا يستطيع صيام شهر رمضان فما هي كفارته ومتى يخرجها بالضبط؟

ج: يسقط القضاء عنه إذا استمر المرض حتى جاء رمضان الثاني، ووجبت عليه الفدية بمدٍّ من طعام لكلّ يوم والمدّ يساوي ٨٧٠ غراماً تقريباً. وأما إذا تمكن من القضاء أثناء السنة وأخره حتى دخل رمضان الثاني ثبت القضاء في ذمته بالإضافة إلى الفدية المذكورة.

س: بالنسبة للمصابين بالربو هل يجوز لهم في نهار رمضان استخدام الجهاز الخاص لهم مع أنه فيه مادة كدواء؟ وهل هو مفطر أم لا؟

ج: يجوز استخدامه ولا يضر بالصوم إلاّ إذا وصل شيء من الدواء إلى المعدة.

س: في كتاب العروة الوثقى (وكذا لا بأس بمضغ العلك ولا ببلع ريقه وإن وجد له طعما فيه ما لم يكن ذلك بتفتت أجزاء منه بل كان

لأجل المجاورة) فهل رأيكم الشريف موافق لذلك؟ وهل جميع أنواع العلك المتعارف عليها الآن في الأسواق يجوز تناولها في نهار رمضان؟ أم المقصود بالعلك اللبان المستخدم قديماً؟

ج: المقصود به أنواع العلك الذي لا يتفتت وأما ما يخلط بمواد أخرى كالسكرّ تتفتت عند المضغ فلا يجوز بلع تلك المواد.

س: ما هو حكم الاستحمام للصائم؟ وما هو الحكم في حال دخول الماء للاذن مثلا؟ هل يؤدي ذلك لبطلان الصوم؟

ج: مجرد ذلك لا يوجب بطلان الصوم والأحوط استحباباً عدم الارتماس بمعنى غمس تمام الرأس والبدن في الماء.

س: هل يستثنى الطالب الذي يسافر كثيرا للدراسة ويقطع المسافة الشرعية من التقصير والإفطار؟

ج: إذا كانت مدة دراسته طويلة بنحو معتد به وكانت مدة سفره للدراسة أكثر من مدة حضره في أثناء مدة دارسته أو مقاربة لها صام وأتم صلاته خلال مدة الدراسة في محل الدراسة وفي الطريق أيضاً لو كان يقطعه في أكثر أيام الأسبوع.

س: يتعلق بقضاء شهر رمضان، فقد كنت مسافر في إحدى السنوات إلى بلد معين في شهر رمضان وقد كانت النية أن أبقى في ذلك البلد لمدة ١٧ يوم أتجول في أنحائها المختلفة والتي تبعد عن بعضها بمسافات بعيدة ولكنني لم استطع من تحقيق ذلك حيث بقيت في نفس المكان لمدة طويلة لا اذكر حقيقة هل تجاوزت العشرة أيام أم لا؟ إلا أنني وخلال السبعة عشرة يوما التي قضيتها هناك سافرت إلى منطقة نائية تبعد حوالي ثلاث ساعات تقريبا أي بمسافة حوالي ٣٥٠ كيلومتر. فما هو حكم الصوم والصلاة في مثل هذه الأحوال؟

ج: إذا قصد البقاء في مدينة واحدة لمدة عشرة أيام أو أكثر وجب عليه الإتمام ويصح الصيام أما إذا قصد البقاء في بلد (دولة) لهذه المدة على أن يتحول في مدن ذلك البلد وتفصل بين بعضها مسافة شرعية ـ كما يبدو من السؤال ـ فيجب عليه القصر والإفطار حتى لو بقي في مدينة واحدة مترددا لمدة عشرة أيام أو أكثر بحيث لا تصل إلى ثلاثين يوماً.

س: ما حكم لو عملت لدى شخص وعملي يتطلب مني الانتقال من مكان إلى مكان ولربما يبلغ المسافة الشرعية؟ ما الذي أفعل؟

ج: إذا كان العمل في السفر فإن الأقوى هو وجوب إتمام الصلاة والصيام فلا يترك الصوم في شهر رمضان وان

في رحاب الفقه

سافر إلى موضع عمله في صباح كل يوم من الشهر ورجع عصراً أو ليلاً إلى منزله.

س: هل استخدام معجون الأسنان والسواك يؤثر على صحة الصوم؟

ج: لا يؤثر على صحة الصوم إذا لم يبتلع شيئاً من الماء أو المعجون.

س: هل تجوز التقية مع المخالفين في وقت الإفطار؟ مع العلم أنهم يفطرون قبل الوقت بعشر دقائق.

ج: يجوز الإفطار عند إحراز غياب قرص الشمس ومع الشك في ذلك يكفي غياب الحمرة المشرقية في دخول وقت الصلاة وجواز الإفطار، كما يجوز الإفطار معهم في حال التقية ولو كان قبل الغروب الشرعي عندنا ولا يجب القضاء حينئذٍ.

س: إذا أتاني وجع في بطني أو كليتي وكنت في نهار شهر رمضان وقلت كأني سوف أشرب الماء أو آخذ دواء لتسكين الألم وترددت بين مواصلة الصيام وبين قطع الصيام والإفطار واستمرت بي هذه الحالة ولكني لم أفطر بل نويت الإفطار؟ فهل صيامي صحيح ذلك اليوم؟ مع العلم أني لم أفطر طوال اليوم؟! ماذا إذا انتابتني هذه الحالة في الصوم المستحب المندوب؟ أو انتابتني في صوم قضاء شهر رمضان؟

ج: يجب البقاء على نية الصّوم مع عدم خوف الضرر في تمام النهار في صوم شهر رمضان وغيره من الواجب المعيّن فإذا عدل عن الصوم أو تّردد فيه في أثناء النهار لم يجتزئ به مطلقاً على الأحوط وجوباً وأما في الواجب غير المعيّن فيصّح الصّوم مع تجديد النية قبل الزّوال ولا يصّح بعده على الأحوط وجوباً وأما في المندوب فيصح مع تجديد النّية ولو في آخر النهار.

س: كيف يكون المكلف الصائم غافلا عن شهر رمضان ومتى يكون ناسيا له؟ ومتى يكون جاهلا به؟ مع انه صائم له ولكن في نيته غير رمضان؟ وهل يجزيه هذا الصيام؟ أم يحسب له الصوم الذي نواه في قلبه؟

ج: الصائم بما هو صائم قد يكون غافلاً كما في النوم أو مع عدم الالتفات إلى كون اليوم من رمضان وقد يكون ناسياً لكونه من رمضان مع أنه كان ذاكراً له قبل ذلك وقد يكون جاهلاً كما إذا صام ولم يدر انه من رمضان كما في يوم الشك.

س: إذا قلت في نيتي في قلبي ولم أتلفظ بها بلساني قلت هكذا في أيام شهر رمضان: (أصوم غداً امتثالا للأمر الخاص بي) ولم أذكر أن اليوم من شهر رمضان. فهل يصح صومي؟ وهل هذا المقدار يكفي في تعيين نوع صومي؟

ج: يصح صومك في مفروض السؤال

وهـذا المقـدار يكفـي فـي تعييـن نوع صومك.

س: هـل أن المـرأة التي تركت الصيـام أيام الشـباب بسـبب التهاون أو بسبب عدم الوعي الدينـي تكون كفارتها على زوجها؟

ج: تجـب الكفـارة عليهـا لا على زوجها.

س: زوجتـي صار لها أربع سـنوات لم تصم قبـل الزواج بسبب مرضا أصابها هل يجوز لهـا التصدق عـن كل يوم لم تصمه إن لم تسـتطع الصوم إلى الآن وان كان يجوز هل من مالها أم من مال زوجها؟

ج: إذا كان المرض مسـتمراً بحيث لم تكن متمكنة مـن قضاء ما أفطرت من رمضان سابق قبل مجيء رمضان آخر لم يجب عليها قضاء ذلك الصوم ولو على تقدير تمكنها من قضائه فعلاً نعم يجب عليها الفدية من مالها لا من مال الزوج.

س: إذا ثبـت هلال شـهر رمضان عند عالم ثقة عندي ولم يثبت عند عالم ثقة أيضا ما حكمي؟

ج: المعيار في حقك قيام الحجة عليك فمع اطمئنانك بثبوت الهلال أو غيره من الحجج يثبت الشـهر في حقك وإلا بنيت على استمرار الشهر السابق.

س: أريد اسـتدلالكم عن الحسـاب الفلكي للاستهلال، وهل الثبوت الشرعي لدخول الشـهر يأتي مـن المرجع أم بالاطمئنان؟ مثـلا نحن في الاحسـاء وسـمعنا ثبت في المدينة أو ثبـت في لبنان أو في النجف أيهما نتبع؟

ج: يثبـت الهـلال بالرؤيـة أو العلـم الحاصـل من التواتر أو الشـياع أو مضي ثلاثيـن يوماً مـن الشـهر الماضي كما يثبـت بشـهادة العدليـن إذا لـم يكن ما يوجب الريب في شـهادتهما وبرؤيته قبل الزوال فيثبت الهلال للسـنة الماضية وان اليـوم أول الشـهر وبـأيّ شـيء من هذه الطـرق ثبـت الهلال فـي بلد مـن بلدان العالم القديم آسـيا وأفريقيا وأوربا ثبت في سـائر بلادها. أما إذا ثبت في بلد من الأمريكيتين فـلا يثبت في بلدان العالم القديم.

س: زوجتـي حامـل فـي الشـهر الثالـث عندما يحل شـهر رمضان المبارك، وهي لا تتحمل الجوع طوال النهار لضعفهـا وهـي تحتـاج إلى تناول الطعام بشـكل مستمر لتقوية نفسـها وجنينها، فهل يجوز لها الإفطار، وما الأحكام الأخرى المترتبة على ذلك؟

ج: الحامل المقرب يجوز لها الإفطار إذا كان الصوم مجهداً لها دون أن يضر بهـا أو بحملهـا وعليها حينئـذ الفدية عن كل يـوم بمـد (٨٧٠ غرام) مـن الطعام مع القضـاء، أما إذا أضـر الصوم بها أو بحملها وجب عليها الإفطار والقضاء دون الفدية. أمـا الحامل غيـر المقرب إذا لم يضر الصـوم بها أو بحملها فلا يجوز لها الإفطار ■

قراءات في وصية الزهراء*

الإمامة والخلافة

بين الإقرار والرفض

• **سماحة السيد محمود المقدس الغريفي**
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع الوصية آخر كلام المرء في الدنيا، يموت وتبقى تتكلم عنه، يستكشف منها عن مكنون رأيه، بما يختلج في صدره، وبيان سر اعتقاده وإيمانه الذي يعرج به إلى المولى عز وجل، فيقر فيها ويعترف كآخر شهادة له على آرائه ومعتقداته التي يؤمن بها.

وأيسر ما تتضمن وصية المسلم هو الاعتراف والشهادة لله عز وجل بالربوبية والوحدانية والعدالة، ولرسول الله محمد صلى الله عليه وآله بالعبودية والنبوة والرسالة، ثم الإقرار بالإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله للأئمة الاثني عشر المعصومين الهاشميين القرشيين عليهم السلام أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ولداه الحسن والحسين عليهما السلام ثم علي بن الحسين عليه السلام ومحمد بن علي عليه السلام وجعفر بن محمد عليه السلام وموسى بن جعفر عليه السلام وعلي بن موسى عليه السلام ومحمد بن علي عليه السلام وعلي بن محمد عليه السلام والحسن بن علي عليه السلام والخلف الهادي المهدي المنتظر (عجل الله تعالى

* بحث منتقى من كتاب قراءات في وصية الزهراء عليها السلام للكاتب، مازال مخطوطاً أعد للمجلة.

فرجه). ثم الاعتقاد والإيمان بالمعاد ويوم القيامة للحساب، إضافة إلى بعض العقائد الإسلامية الثابتة.

وبمجمل هذه العقائد الإسلامية وردت وصية مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما سئل كيف يوصي الميت؟... ثم قال صلى الله عليه وآله في آخرها لعلي عليه السلام: تعلمها أنت وعلمها أهل بيتك وشيعتك)[1]. وهذا إرشاد منه صلى الله عليه وآله للمسلم أن لا يهمل ذكر هذه العقائد الإسلامية والإقرار بها في وصيته حتى يخرج من الدنيا وهو على العهد الذي آمن به وصدقه وفارق الناس عليه. ومن ثم يوصي بحاجاته ووصاياه وغيرها من الأمور، ويُشهد على ذلك بعض المؤمنين.

وقد ورد جملة من الوصايا المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تتضمن جملة العقائد الإسلامية الحقة ومن جملة هذه الوصايا المأثورة، وصية الزهراء عليها السلام إذ ضمنتها جملة من عقائد الإسلام وأصوله والإقرار بها تارة بالنص وأخرى بالملازمة أو التضمن.

فمما جاء في وصيتها عليها السلام: (**هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول عبده ورسوله**)[2] أنه نص منها وإقرار بالشهادتين، وهما أصلان من أصول الدين الإسلامي وهما توحيد الله عز وجل وأنه لا شريك له، والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وعبوديته ورسالته التي تقر بكافة رسالات السماء وبعثة الأنبياء كافة عليهم السلام، وإن رسالة الإسلام آخر الرسالات السماوية حيث نسخت ما قبلها، وأن محمداً صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء

آمن الرسول

والرسل.

أما العدل الإلهي فقد أشارت إليه عليها السلام بدلالة الملازمة من خلال إقرارها بوصيتها: (**إن الجنة حق والنار حق**)[٣] لأنه عز وجل قضى على نفسه أنه خلق الجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً (سيداً) قرشياً كما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام[٤]، كل بعمله واختياره وهذا مقتضى العدالة الإلهية (ذلك بما قدمت أيديكم وإن الله ليس بظلام للعبيد)[٥] لأنه عز وجل يأمر بالعدل فلا ينقض غرضه وأمره، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)[٦] (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)[٧].

وهذا هو الأصل الثالث من أصول الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

وأما الأصل الرابع في وصيتها عليها السلام (المعاد) فقد نصت عليه بقولها عليها السلام: (**وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**)[٨]. وما قيام الساعة وبعث من في القبور بأجسامهم إلا دلالة على المعاد وقيام القيامة للناس للوقوف بين يدي جبار السموات والأرض ورحيمهما للحساب. (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا)[٩] (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[١٠].

أما إقرارها بأصل الإمامة وبالخصوص اعترافها بإمامة إمامها وزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام فيستنبط من قولها عليها السلام في وصيتها مخاطبة الإمام علياً عليه السلام: (**يا علي، أنا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري - غيرك - حنطني وغسلني وصلي علي وادفني بالليل ولا تعلم أحداً...**)[١١] في الحديث المتواتر وبدلالة التضمن.

حيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في الحديث المتواتر يوم غدير خم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام بعد رجوعه من حجة الوداع بأمر من الله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)[١٢] فقام صلى الله عليه وآله خطيباً بالمسلمين وبعد خطبة طويلة سألهم:

(من أولى بكم من أنفسكم؟ فقال المسلمون: الله ورسوله، فرفع صلى الله عليه وآله يد علي بن أبي طالب عليه السلام حتى بان بياض إبطيهما وقال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم دعا صلى الله عليه وآله: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث ما دار، ثم أفرد له خباءً وأمر المسلمين أن يبايعوه بإمرة المؤمنين، وكان ممن

بايعه أبو بكر وعمر وهما يقولان له: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولى المؤمنين، فأنزل الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)[١٣] فقال رسول اللهﷺ: الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة برضا الرب وبالولاية لعلي بن أبي طالب)[١٤].

ومن هذا الأمر الإلهي نستفيد أن فحوى كلامها عليها السلام إن ولايتك يا علي على عموم الناس بحكم كونك إمامهم، ولكن ولايتك عليّ لأمرين أولهما: كونك إمامي، إذ أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما نص رسول اللهﷺ الذي (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي علمه شديد القوى)[١٥]، وفي الوقت نفسه تعد هذه صرخة مدوية وضوء أحمر في وجه الانحراف القائم آنذاك والناكب عن خط الرسالة من بنت صاحب الرسالة وبضعته الصديقة الطاهرة عليها السلام على من أنكر هذه الولاية وانقلب عليها، وغصب الخلافة وجر المسلمين من الخط السماوي إلى الخط القبلي.

وثانيهما: كونك زوجي، والولاية تكون لك في تجهيزي بعد الوفاة، كما هو معلوم من الفقه الإسلامي أن الزوج له الولاية في تجهيز زوجته دون غيره من أرحامها وغيرهم وتسقط مع قيام غيره بالتجهيز بإذنه، وقد أكدت عليها السلام على هذه الزوجية في وصيتها: (يا علي أنا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة)[١٦] وقد أشارت هنا إلى ما استفاض عن رسول اللهﷺ في قضية تزويجها من أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه كان بأمر من الله عز وجل وإرادته، وأنه عز وجل زوجها في السماء وأشهد الملائكة على ذلك، وأمر رسول اللهﷺ أن يزوجها في الأرض ويشهد المسلمين على ذلك. فقامﷺ خطيباً في المسجد وقال: معاشر المسلمين أن جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني أن ربي عز وجل جمع الملائكة عند البيت المعمور وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة ابنة رسوله محمدﷺ من عبده علي بن أبي طالب عليه السلام وأمرني أن أزوجه في الأرض

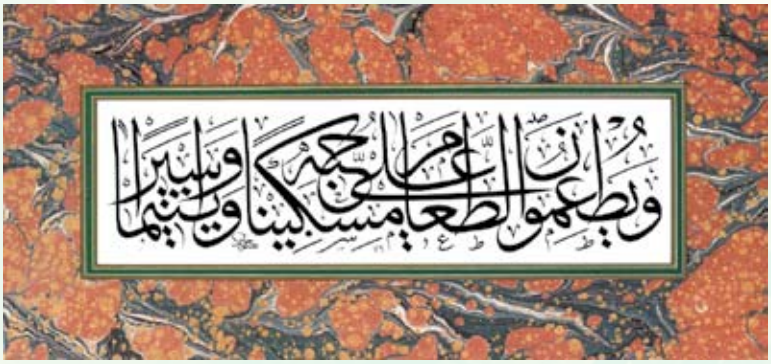

وأشهدكم على ذلك[١٧].

ومن هنا فإن الولاية على شخص بحكم الإمامة والزوجية معاً لا تجمع في شخص (غيري) أي غير فاطمة الزهراء عليها السلام حينئذ. وهذا إقرار منها بالإمامة في الجملة، وبالخصوص إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد رأى العلامة الكبير السيد محسن الأمين قدس سره أن قول: (من غيرك) هو الظاهر دون قولها عليها السلام: (من غيري)[١٨].

وعلى هذا القول، إضافة لما سبق منا، نقول أن الولاية لعلي عليه السلام من حيث أنه إمامها وزوجها، يأتي أيضاً قول أن الصديقة لا يغسلها إلا صديق كما ورد عنهم عليهم السلام، ومن الثابت عند المسلمين أن فاطمة الزهراء عليها السلام صديقة مصدقة على لسان أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، منها ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: (أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتها أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلك، وأتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهم، ولكنكم مني وأنا منكم)[١٩].

ولأن الزهراء عليها السلام بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله كما استفاضت الأخبار وبضعة الشيء جزءه فكما أن الأصل صلى الله عليه وآله صادق مصدق صديق ومعصوم كذلك الجزء وبضعته، فإن أولوية تجهيزها على هذا القول أي قولها (من غيرك) ربما يقال أنه يشترك مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ولداه الحسن والحسين عليهما السلام كونهما إمامين صدّيقين أيضاً، وفي اعتقادنا أنه لا يمنع صغر سنهما من ذلك، وقد جرى ـ بَعْدُ ـ مثل ذلك للإمام محمد الجواد عليه السلام والإمام المهدي عليه السلام في تجهيز والديهما الإمامين الرضا والعسكري عليهما السلام على الرغم من صغر سنهما، ولكنها عليها السلام خصت بوصيتها وجعلت الأولوية والولاية الكلية لأمير المؤمنين علي عليه السلام دون غيره، حيث قالت عليها السلام: (وأن يغسلها ـ أي: أمير المؤمنين ـ في قميصها لا يكشفه عنها لأنها كانت قد اغتسلت قبل وفاتها بيسير ـ أي: بوقت قليل ـ وتنظفت ولبست ثيابها الجدد...)[٢٠].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: حيث سأله المفضل من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال عليه السلام: (ذاك أمير المؤمنين ـ وكأني استعظمت ذلك من قوله ـ فقال عليه السلام: لا تضيقن فإنها صديقة ولم يكن يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم عليها السلام لم يغسلها إلا عيسى عليه السلام)[٢١]. ولكنهما عليهما السلام وإن اشتركا مع أبيهما أمير المؤمنين علي عليه السلام بالإمامة (الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا)[٢٢] كما نص رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن الولاية جارية لأبيهما فعلاً مع توقفها عنهما مادام حياً، وهذا ما نعتقد به، حيث أن الإمام اللاحق يأتمر بأمر الإمام السابق عليه مادام على قيد الحياة، فإن

توفي جرت الولاية لمن بعده من الأئمة عليهم السلام، وهذا ما وجهت إليه في وصيتها عليها السلام إيماناً منها بالأئمة من بعد أمير المؤمنين علي عليه السلام، في معرض وصيتها بحوائطها السبعة التي في المدينة جمع حائط أي البستان والتي كان ينفق منها رسول الله صلى الله عليه وآله على أضيافه والنائبة يلزمه فيها[٢٣]، فأوقفها صلى الله عليه وآله على ابنته الزهراء عليها السلام. فأوصت بها وقالت:

(**بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت بحوائطها السبعة (بالعواف والدلال والبرقة والميثب والحسنى والصافية ومال أم إبراهيم (مشربة أم إبراهيم) إلى علي بن أبي طالب فإن مضى علي فإلى الحسن فإن مضى فإلى الحسين فإن مضى الحسين فإلى الأكبر (الأكابر) (من ولده) من ولدي (دون ولدك). شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب علي بن أبي طالب** عليه السلام)[٢٤].

فكان هذا دلالة على إقرارها بأصل الإمامة بشخوصها الاثني عشر عليهم السلام من ولدها وإن لم تسم أغلبهم بعد أن ذكرت علياً ثم الحسن والحسين عليهما السلام، حيث أن أكابر أولادها بعد الحسين عليه السلام وكبار بني هاشم والعلويين من ذريتها هم الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، فضلاً عن أنهم عليهم السلام أكبر الأولاد سناً بعد استشهاد آبائهم عليهم السلام، وأكابر القوم منزلة وعلماً وفضلاً و...، وإن خصتهم على رواية بولد الحسين عليه السلام، بعد أن خصتهم بولدها دون ولد الإمام علي عليه السلام على رواية أخرى.

فالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أكبر أولاد الحسين عليه السلام وكبير قومه، وهكذا ولده الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام وموسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وعلي بن موسى الرضا عليه السلام ومحمد بن علي الجواد عليه السلام وعلي بن محمد الهادي عليه السلام والحسن بن علي العسكري عليه السلام والحجة المنتظر المهدي بن الحسن صاحب الأمر والزمان (عجل الله تعالى فرجه). إذ أن مواريث الأنبياء وأوقافهم والقيام بشؤونهم لابد أن توضع بيد أوصيائهم وخلفائهم الصديقين المعصومين، أي الإمام من بعد الإمام، والصديق من بعد الصديق، حيث تكون إشرافهم تحت ورعايتهم وتصرفهم وهكذا تدال حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

على أنه لازم هذا الإقرار منها بإمامة زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام صاحب الحق الشرعي في وصيتها عليها السلام، رفضها وإنكارها على من غصب الخلافة والإمامة وتصدى لمقام ومنصب إلهي لم يكن أهلاً له مطلقاً، في وصيتها التي فجرت التساؤل عبر الأجيال إذا قالت لأمير المؤمنين علي عليه السلام: (**وأن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي فإنهم عدوي وعدو رسول الله** صلى الله عليه وآله) ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم (ولا من أتباعهم)[٢٥]، بعدما سبقتها بخطبتيها العظيمتين وهي التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[٢٦].

آمن الرسول

فجاءت كلماتها انتصاراً لإمامها أمير المؤمنين علي عليه السلام لأن نصرة الإمام عليه السلام واجبة على كل مكلف بكل ما يستطيع، وإعلاءً لكلمة الحق العليا وتعرية للظالمين الانقلابيين وفضحهم.

ومن هنا أقرت عليها السلام أنها مازالت على العهد من بيعتها لإمامها أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الغدير حتى فاضت روحها الطاهرة وهي على شريعة الإسلام الحنيف منهجاً وسلوكاً واقتداءً وتمسكاً بما قال أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله: (من مات ولم تكن في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهلية)[٢٧].

وهذا الحديث الشريف خير دليل يحتج به على بطلان خلافة أبي بكر وإمامته، لأن الزهراء عليها السلام كما هو الثابت الذي لا لبس فيه توفيت ولم تبايع لأبي بكر بل كانت ساخطة، غاضبة، واجدة عليه إلى وفاتها عليها السلام، وهي الصديقة بشهادة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهادة عائشة بنت أبي بكر: حيث قالت: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة عليها السلام غير أبيها صلى الله عليه وآله[٢٨]. الطاهرة المطهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا بنص قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٢٩] والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها كما قال لها الصادق الأمين صلى الله عليه وآله[٣٠]، وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها)[٣١].

وأنها عليها السلام سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لفاطمة: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة)[٣٢]، وورد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله - وهو في مرضه الذي توفي فيه - قال: (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين)[٣٣].

وبعد هذا فهل من المعقول أن ترضى الزهراء عليها السلام - حاشاها - أن تموت ميتة جاهلية وهي بنت الرسالة إذ ترعرعت بين أحضانها، وتعطرت بأريجها، وتغذت من رحيقها، لكنها أرادت عليها السلام أن تُعرف المسلمين ومن خُدع وانحرف منهم أو اشتبه عليه الواقع إن خلافة أبي بكر المزعومة غير صحيحة ولا شرعية لها.

وفي الوقت نفسه ترسل الصديقة الطاهرة عليها السلام شهادتها الزكية عبر التاريخ إلى الأجيال لتُعرفهم الحقيقة وتصورها لهم ناصعة كالشمس، وإلى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)[٣٤] ■

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الوصايا، باب استحباب الوصية بالمأثور، ح١.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ٢١٤/٤٣.

(٣) المصدر السابق.
(٤) ديوان الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، ص٤٤، صنعة وتحقيق السيد محمود المقدس الغريفي.
(٥) سور الأنفال/ الآية:٥١.
(٦) سورة النحل/ الآية:٩٠.
(٧) سورة الأنبياء/ الآية:٤٧.
(٨) بحار الأنوار، المجلسي، ٢١٤/٤٣.
(٩) سورة النساء/ الآية:٨٧.
(١٠) سورة الجاثية/ الآية:٢٦.
(١١) بحار الأنوار، المجلسي، ٢١٤/٤٣.
(١٢) سورة المائدة/ الآية:٦٧.
(١٣) سورة المائدة/ الآية:٣.
(١٤) الغدير، الأميني.
(١٥) سورة النجم/ الآية:٣-٥.
(١٦) بحار الأنوار، المجلسي، ٢١٤/٤٣.
(١٧) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص٧٤، كنز العمال، المتقي الهندي، ١٥٢/٦، ذخائر العقبى، ص٤٠.
(١٨) المجالس السنية، الأمين العاملي، ١٢١/٥.
(١٩) الرياض النظرة، المحب الطبري، ٢٠٢/٢.
(٢٠) الأمالي، المفيد، ص٢٨١، الأمالي، الطوسي، ١٠٧/١.
(٢١) أصول الكافي، الكليني، ٥٢٢/١.
(٢٢) بحار الأنوار، المجلسي، ٢٧٨/٤٣.
(٢٣) قال السمهودي في تاريخ المدينة ١٥٢/٢، إن مخيرق اليهودي كان من أحبار يهود بني النظير، أسلم وقُتل يوم أحد، وأوصى بحوائطه السبع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأوقفها النبي صلى الله عليه وآله سنة سبع من الهجرة على خصوص فاطمة عليها السلام، وكان يأخذ منها لأضيافه وحوائجه.
(٢٤) الكافي، الكليني، ٤٨/٧، الأصول الستة عشر، عدة محدثين، ص٢٣، البحار، المجلسي، ٢٣٥/٤٣، كشف الغمة، الأربلي، ١٢٢/٢.
(٢٥) روضة الواعظين، النيسابوري، ص١٥١.
(٢٦) مستدرك الصحيحين، الحاكم، ١٥٣/٣.
(٢٧) مستدرك مسلم، ٢٢/٦، كنز العمال، ٥٢/٦، الجامع الصحيح، الألباني، ح٦٢٢٩.
(٢٨) مستدرك الصحيحين، الحاكم، ١٦/٣، الاستيعاب، ٧٠١/٢.
(٢٩) سورة الأحزاب/ الآية:٣٣.
(٣٠) مستدرك الصحيحين، الحاكم، ١٥٣/٣، كنز العمال، ١١١/٧.
(٣١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، مسند أحمد، ٣٢٨/٤.
(٣٢) كنز العمال، ١٥٦/٧.
(٣٣) مستدرك الصحيحين، الحاكم، ١٥٦/٣.
(٣٤) سورة الزمر/ الآية:١٨.

أعطيت ثلاثاً

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها وأعطي علي ثلاثة ولم أشاركه فيها. فقيل: يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام؟ فقال: لواء الحمد لي وعلي حامله، والكوثر لي وعلي ساقيه، والجنة لي وعلي قاسمها، وأما الثلاث التي أعطيت علياً ولم أشاركه فيها: فإنه أعطي رسول الله صهراً ولم أعط مثله، وأعطي زوجته فاطمة الزهراء ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما.

الفضائل لشاذان بن جبرئيل ص:١١١

الشيخ محمد حسين النائيني وجهوده الفكرية في الإصلاح

• حيدر نزار السيد سلمان
كاتب وصحفي

ينابيع

شهدت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين نشاطاً واسعا للحركة الإصلاحية التمهيدية في كل العالم الإسلامي كرد فعل طبيعي على حالة التدهور والتقهقر الذي شهده هذا العالم في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية حيث التخلف والجهل والاستبداد ضرب أطنابه في عالمنا الذي أصبح لا يقوى على مواجهة التحديات بعد أن سادت فيه روح التكاسل والفساد السلطوي مقابل ما كان يتحقق في العالم الغربي

من ازدهار وتقدم ورقي حضاري حيث شعر قادة الأمة المصلحين والمجددين الذين كانت أرواحهم تحترق ألماً بكل إمكانيات الحضارة الحديثة وتطورها فزاد الشعور من الهجمة الثقافية الغربية التي سبقت الهجمة العسكرية وهنا التفت المصلحون لحاجة الأمة إلى التجديد والنهضة وامتلاك مقومات القوة والصمود بوجه هذا العدو الشرس الذي لا يتوانى عن استخدام أي أسلوب وطريقة في سبيل تغلغله وفرض هيمنته.

وعلى هذا الأساس ظهرت دعوات الإصلاح وإنهاض الأمة وإفاقتها وقد اتخذت هذه الدعوات أشكال ونواحي مختلفة منها الإصلاح الاجتماعي والسياسي والديني لكنها كلها تهدف إلى إتباع الأسباب الموجبة والموصلة للنهضة وبلوغ التقدم والرقي والحقيقة المؤكدة إن مشاركة النجف الأشرف ممثلة بمرجعيتها الدينية وحوزتها العلمية كانت فاعلة على الرغم من الإهمال المتعمد من قبل مؤرخي عصر النهضة لهذا الدور وربما كان ذلك الإهمال ينطلق من دواعي طائفية.

فالمصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) أحد طلبة حوزة النجف الدينية كان أول مشعل للحركات الإصلاحية وكان له دور مهم في بعث وتطوير الفكر الإسلامي الحديث، ويشير إلى الأفغاني المؤرخ والمفكر (ألبرت مورني) في كتابه (الفكر العربي في عصر النهضة) باعتباره من خريجي مدرسة النجف إذ كان من الدارسين للفلسفة وهي الدراسة التي توقفت الجامعات والمدارس الأخرى عن تدريسها باستثناء جامعة النجف الدينية وكان الأفغاني الأساس الذي بنيت عليه فيما بعد أغلب الدعوات الإصلاحية.

ومثلما ذكرنا سابقاً فقد كانت النجف مشاركة في هذه الدعوات فكان الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه (الدين والإسلام) والسيد هبة الدين الشهرستاني في مجلته العلم وكتابه الهيئة والإسلام وهناك الكثير من المصلحين الذين ساروا على خط الأفغاني ولعل الشيخ محمد حسين النائيني من أبرز دعاة الإصلاح لما كانت لدعوته في الإصلاح الديني والسياسي من إنعكاسات وردود أفعال وتأثير.

ولد الشيخ محمد حسين النائيني عام (١٢٧٣هـ) الموافق (١٨٥٧م) في ولاية (نائين) التابعة إلى اصفهان وهو ينحدر من أسرة دينية معروفة حيث كان والده الشيخ عبد الرحيم وكذلك آبائه من قبله يتمتعون بلقب شيخ الإسلام في اصفهان وهو منصب ديني يعادل لقب المفتي في البلاد العربية الأخرى.

نشأ الشيخ النائيني في نائين وتعلم المقدمات والمبادئ الأولية

للفضيلة نجومها

على أساتذتها ثم هاجر إلى اصفهان لإكمال دراسته الدينية فيها عام (١٨٧٦م) وبقي عامين فيها فدرس عند الشيخ محمد باقر نجل الشيخ محمد تقي صاحب حاشية المعالم وخلال هذه الفترة كانت للنائيني علاقات وثيقة مع السيد جمال الدين الأفغاني ولما شعر الشيخ إن مدينة اصفهان لم تعد تلبي طموحه العلمي ولا تشفي غليله إلى التعلم وجه نظره إلى العراق وكان المرجع آنذاك السيد محمد حسن الشيرازي.

فقصد الشيخ النائيني سامراء ودخلها عام (١٨٨٤م) وبدأ يحضر دروس السيد إسماعيل الصدر والسيد محمد الاصفهاني، وبعد وفاة السيد الشيرازي عام (١٨٩٥م) والذي صار النائيني في أواخر أيامه كاتباً خاصاً له انتقل إلى مدينة النجف الاشرف حيث كان الشيخ محمد كاظم الخرسان يسطع نجم كمرجع كبير فأصبح النائيني واحداً من المقربين منه والمتأثرين بأفكاره الإصلاحية.

وقد استمر الشيخ محمد حسين النائيني في التدريس والعمل الحوزوي الجاد حتى وفاته عام (١٩٣٦م) بعد إصابته بمرض عضال.

منذ البداية وقف الشيخ النائيني مع دعاة الحركة الدستورية التي كان الخراساني من أبرز دعاتها ومناصريها مقابل الحركة المستبدة المعارضة لإقامة الحكم الدستوري في إيران ولعل أبرز تلامذة النائني السيد محسن الحكيم، الزعيم المتفرد في المرجعية الدينية في وقته والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد محمود الشاهرودي وكان لهؤلاء المراجع آرائهم الإصلاحية والتجديدية في الحوزة العلمية في النجف تأثراً بأفكار استاذهم الكبير.

وفي كل الأحوال فإن النائيني المطلع على الثقافتين العربية والفارسية كان من أبرز المنظرين للحركة الدستورية لاسيما في مجالها السياسي إذ كان من المهتمين بالأمور السياسية حتى جاء كتابه الإصلاحي الدستوري الرائع (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) الصادر في عام (١٩٠٩م) والذي جعله من اقدر المنظرين السياسيين وابرزهم وربما كان هذا الكتاب هو العمل الأكثر شهرة وتأثيراً للنائيني على الرغم مما لاقاه في عصره من عنت المتشددين والرافضين للدعوات الدستورية وهذا ما دفعه إلى سحب الكتاب من التداول حينها لكن الكتاب سرعان ما اشتهر وتوسع

صيته كواحد من أبرز انجازات مدرسة النجف العلمية في مجال الفكر السياسي التجديدي.

كان الشيخ النائيني من المتصدرين لفكر التحجر والانغلاق وعمل من أجل الحرية والمساواة والعدالة معتقداً بأن الطريق إلى ذلك يكون بتدوين الدستور وإنشاء مجلس للشورى، وبغية إثبات مشروعية هذه المطالب المستجدة على الصعيد الفقهي نهض بمهمة كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) محققاً نقلة نوعية في الفقه السياسي الإسلامي.

وكان عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٥-١٩٠٢)م قد كتب في هذا الموضوع كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) لكن هناك من يرى في كتاب النائيني أكثر علمية ويدل على السعة والعمق الفكري لمؤلفه وإنه كان أكثر إبداعاً وتنظيماً من طبائع الاستبداد ويشير الشيخ مرتضى المطهري إلى هذه الحالة قائلاً: (من الإنصاف القول أنه حتى الآن لم يفسر التوحيد العلمي والاجتماعي والسياسي في الإسلام تفسيراً دقيقاً بأفضل من تفسير العلامة الكبير والمجتهد الفذ المرحوم ميرزا محمد حسين النائيني في كتابه القيم تنبيه الأمة وتنزيه الملة وإن كل ما كان يقصد من أمثال الكواكبي حول التوحيد فإن المرحوم النائيني أثبته في ذلك الكتاب بأدلة إسلامية ولكن مع الأسف إن محيط الجهل الذي

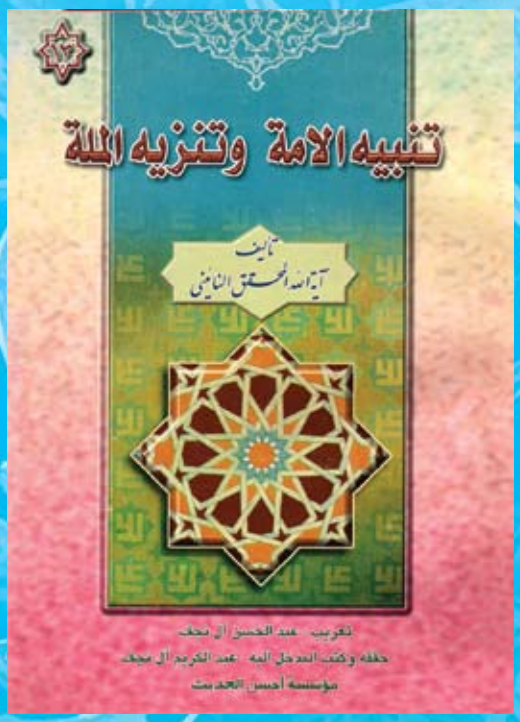

عم مجتمعنا هو الذي دفع النائيني إلى السكوت والصمت بعد نشره الكتاب).

ويعتقد الكاتب والمفكر زكي ميلاد إن القيمة الحقيقية بين هاتين المحاولتين ويقصد النائيني والكواكبي ليس في إظهار المفاضلة أو الانحياز والتبجيل ولا في البحث عن المشتركات والمفترقات بين التجربتين ولكن القيمة الحقيقية هو التراكم المعرفي والتواصل الحيوي المبكر بين المحاولتين ولأنهما ظهرتا في مجتمعين وبيئتين مختلفتين من جهة الروافد الثقافية والمنابع والمرجعيات الفكرية.

وفي المقدمة التي كتبها النائيني لكتابه يشير إلى أن الدور الذي لعبه الزعماء الدينيون في إرشادهم وهدايتهم فعلم المسلمون إن الحرية

للفضيلة نجومها

التي منحها الله سبحانه لهم تصطدم مع رغبات فراعنة الأمة واستأنسوا بالحقوق المشروعة كالمساواة والمشاركة في جميع الأمور مع الحكام فانطلقوا يتخطون لهيب النار لخلع طوق العبودية للجبابرة واسترداد حقوقهم المغصوبة غير آبهين بأن تراق دمائهم الطيبة في سبيل هذا الهدف هو أعظم ما يوجب من السعادة والحياة للشعب ومؤثرين التضمخ بالدم على الحياة الذليلة الأسيرة للظالمين، وقد تعلموا هذا من سيد المظلومين الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: (نفوس أبيه من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

ويؤكد النائيني إن الهدف من وضع هذه الرسالة هو تنبيه الأمة إلى ضروريات الشريعة وتنزيه الملة عن الزندقة والإلحاد والبدعة وقد جاءت في هذه الرسالة لمقدمة خمسة فصول وخاتمة، وفي البداية يقدم النائيني عرضاً عن تكون السلطة وضرورتها لحفظ الدين والوطن والشرف والأعراض وإن السلطة هذه ومنذ بدأ تكوينها تأتي لحفظ وصيانة الأنظمة الداخلية والتربية النوعية للشعب والحيلولة دون ظهور عداوات بين أفراد الشعب وكذلك حماية الوطن وإعداد القوة الدفاعية والمعدات الحربية لحفظ بيضة الإسلام.

ويواصل النائيني شرحه لمفهوم السلطة ليصل إلى ما يريد عند شرحه لطرق الاستيلاء عليها من قبل السلطان وتصرفه في البلاد ويؤكد أنها على نحوين:

الطريقة الأولى الإستيلاء على نحو التملك وفيها يتعامل السلطان والحاكم مع مملكته كما يتعامل المالكون مع أموالهم الشخصية فيعتبر البلاد وما فيها ملكاً شخصياً له ويجعل الشعب عبيداً وفي هذا النوع من السلطة يسود الهوى والتحكم الشخصي ولذا يسمى استبداداً وتحكماً واعتسافاً وتسلطاً ويسمى الحاكم المطلق والحاكم بأمره ومالك الرقاب والظالم والقهار والأمة المبتلاة بهذه السلطة تسمى ذليلة ومسترقة كما يمكن تسميتها بالأمة المستنبتة أي المدرجة في عداد النباتات البرية والحشائش لأنها أمة مسخرة في مصالح السلطان ولهذا النوع من السلطة درجات متفاوتة تبعاً لطغيان السلطان من جهة، وإدراك الأمة لموقفها من جهة ثانية.

أما النوع الثاني من السلطة فهي التي لا تقوم على المالكية ولا القهر وإنما على أساس إقامة

تلك الوظائف والمصالح النوعية المطلوبة من السلطة وتكون فيها إختيارات الحاكم محدودة بحدود هذه الوظائف ومشروطة بعدم تجاوز حدود الوظائف المقررة عليه، وهذان النوعان من السلطة متضادان الأولى مستبدة والثانية مشروطة وأفراد الشعب شركاء معه في جميع المقدرات الخاصة بالبلد والتي تنتسب للجميع بشكل متساو والمتصدرون للأمور هم أمناء للشعب ولكن النائيني يعود محذراً من إمكانية تحول هذه السلطة من النوع الثاني إلى النوع الأول المستبدة والطاغية فحاشية الحاكم ليس كلها قادرة على الالتزام بمبادئ العدل والمساواة وإطلاق حرية الأمة في إبداء الرأي أمام الحاكم والاعتراض عليه فوجود هؤلاء الذين يحافظون على هذا النوع من السلطة أمراً نادراً وهذا يستدعي ومن أجل الحفاظ على استمرارية المحدودية والمشاركة العامة وحقوق الناس إيجاد دستور واف يحدد السلطات والوظائف ويمنع الاستبداد ويكون موافقاً لمقررات المذهب ومقتضيات الشرع بحيث يكون الخروج عن عهده هذا الدستور إفراطاً وتفريطاً خيانة كسائر أنواع الخيانات موجهة الانعزال بشكل رسمي عن السلطة وتترتب عليه عقوبة الخيانة.

والأمر الثاني أحكام المراقبة والمحاسبة ويتولى هذه الوظيفة جهاز يشكل من عقلاء الأمة وعلماءها الخبراء بالحقوق الدولية والمطلعين على مقتضيات العصر وخصائصه ليقوموا بدور المحاسبة والمراقبة تجاه ولاة الأمور الماسكين بزمام الدولة بغية الحيلولة دون حصول أي تجاوز أو تفريط وهؤلاء هم مندوبوا الأمة والمبعوثون عنها ويمثلون قوتها العلمية والمجلس النيابي.

وتكون القوة التنفيذية للدولة تحت أنظار ومراقبة هؤلاء النواب وهم مسؤولين أمام كل فرد من أفراد الأمة وأي تهاون وفتور من الممثلين يؤدي إلى زوال التحديد المقصود للسلطة وتحول الحكومة إلى مستبدة.

ويتحدث النائيني عن نوعين من الاستبداد هما الاستبداد السياسي والاستبداد الديني وهناك ربط بين الاستبدادين ويشير إلى أن التخلص من الاستبداد السياسي أسهل منه في الاستبداد الديني الذي يصعب علاجه وهنا يشير النائيني إلى الدين المزيف ووعاظ السلاطين الذين هم أشد خطراً على الأمة من الحكام الطغاة فهم يبررون ويشرعون للظالم ظلمه وحكمه.

وعلى الرغم من انقضاء المائة عام على صدور هذا الكتاب فمازال يشكل علامة بارزة في الأوساط الفكرية والسياسية ويعطي صورة عن الحالة التي قدمتها المدرسة النجفية ضمن إسهاماتها في دعوات التجديد والإصلاح ■

الشيخ محمد حسن آل ياسين
من النجف الأشرف إلى الكاظمية
رحلة العطاء الفكري الخالد

• حيدر المالكي

ينابيع

كثيرون هم الرجال الذين قدموا للأمة الإسلامية نتاجات علمية ذات قيمة عالية، كانت ولازالت شواهداً حية دالة على سعة آفاقهم المعرفية والبحثية، التي مهدت لهم الدخول إلى مدينة الخلود من أوسع أبوابها، بل وجعلتهم يتبوؤن مكاناً مرموقاً ومرتبة سامية فيها، وكان منهم من لم يكتف بما أنتجه من فكر تمثل في كتبه بل راح يحول ذلك الفكر إلى واقع ملموس، منطلقاً به ومحرراً له من التقييد والأسر النظري إلى فضاء التطبيق العلمي، ذلك الأمر الذي يتطلب جهداً وصبراً منقطعي النظير.

وكان سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد حسن آل ياسين قدس سره خير أنموذج تنطبق عليه هذه الحالة، فبعد عمر مزدحم بالمشاريع النهضوية الإسلامية، بكل ما تحمل كلمة النهضة الإسلامية من معان انتقل إلى رحمة الله ورضوانه بعد تأديته الأمانة العظمى التي ألقيت على كاهله فودعته المنتديات والمجاميع الدينية والعلمية وحمل المثقفون جثمانه الطاهر كي يستقر بجوار باب الحوائج الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ويحق لنا الوقوف عند هذه الشخصية الفذة، نستقرأ الجوانب المختلفة فيها ونطلع على العوامل التي ساعدتها في ارتقاء سلم المجد، هذه وقد أنهكته الدنيا بمصائبها وأسقامها، ورغم ذلك فقد واصل المسيرة، مؤمناً بالدرب الذي سلكه من قبل آبائه وأجداده الذين خدموا شريعة سيد المرسلين صلى الله وآله وسلم والتزموا بالخط العلوي الأصيل.

أسرته:

تعد أسرة آل ياسين من الأسر العلمية المرموقة التي رفدت الحوزة العلمية والمحافل الفكرية بثلة من العلماء والأدباء المتميزين بعطائهم، فكان الشيخ محمد حسن البقية الباقية، الخلف الصالح الذي جمع أغلب المؤهلات التي امتاز بها من قبل أجداده، فكان الوارث الأصيل لخط علمي متسلسل من الآباء والأجداد انتقلت إليه الأعلمية كما تنتقل الصفات الجينية الوراثية.

فهو الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن بن ياسين (صاحب الشهرة الأسرية) بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محسن بن مهدي الكاظمي الخزرجي، ومهدي هذا هو جد الأسرة، الذي قدم من قرية (عكبرا أو تل عكبرا) الدجيل حالياً إلى الكاظمية، فاستقر فيها هو وذريته من بعده، إلى أن هاجر حفيده الشيخ محمد رضا إلى النجف الأشرف وحط رحله فيها متخذاً من دار الشيخ أحمد المقدس الأردبيلي في محلة العمارة منزلاً، وقد ظل أحفاد الشيخ محمد رضا يتنقلون بين الكاظمية والنجف فهم نجفيون كاظميون[1].

يتصل نسب آل ياسين بقبيلة الخزرج العربية، أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وثمة رواية تفيد بأنهم (سادة علويون)، ومفادها: (ومن مزايا هذه الأسرة تخرجها في الأنساب إلى الشجرة العلوية بعد أن كانت لهم شبهة سيادة قوية، ولكن زعيم البيت في زمانه الشيخ محمد حسن الكبير كان لشدة ورعه يتحرج من ذلك)[2].

حيث يفند هذه الرواية (بعد أن يعرض الخط النسبي الذي ذكره السيد جعفر الأعرجي النسابة وهو خط يتصل بعلي بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين) ويقول: (هذه السلسلة عهدتها على راويها فلا تعرفها

للفضيلة نجومها

الأسرة)[٣].

نماذج من رجالات الأسرة:

١ـ الشيخ محسن الكاظمي: عميد الأسرة وكبيرها، فقد كانت له منزلة رفيعة في قلوب عارفيه ومؤيديه (ولما آلت إليه رئاسة الدين، كان عليمها الكبير، وسيدها المرموق، وفارسها المعلم إذ تقلدت الأسرة عنه دست الرئاسة الدينية، تتسلمه كابراً بعد كابر، حتى انتهت إلى زعامة طبقت الآفاق صيتاً وملأت الدنيا تهليلاً وتكبيراً)[٤].

٢ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت١٣١٠هـ)، انتهت إليه الرئاسة الدينية بعد وفاة المرجع الدينية الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري، وقد ألف موسوعته الفقهية (أسرار الفقاهة) بعدة أجزاء التي قررت في مناهج الحوزة الدينية في عدد من الأقطار الإسلامية.

٣ـ الشيخ عبد الحسين آل ياسين (ت١٣٥٣هـ): أحد أعلام هذه الأسرة، فهو فقيه عليم متبحر، ولد في الكاظمية وهاجر إلى النجف الأشرف، بقي فيها مدة ثم هاجر إلى سامراء في حياة السيد محمد حسن المجدد الشيرازي (١٣١٢هـ)، وحضر مجلس درسه، ولما توفي جده الشيخ محمد حسن الكبير قام مقامه في الرئاسة والجماعة وعنه يتحدث الشيخ جعفر محبوبه: (...زرته في الكاظمية، فرأيته شيخاً صبيح المنظر، ذا شيبة بيضاء بهية، كثير الذكر، حسن المنظر والمخبر، ومنظره يذكرك بالأخيار الأبرار من سلفنا الصالح)[٥] وقد صاهر السيد هادي الصدر على كريمته شقيقة السيد حسن الصدر قدس سره، ومن الجدير بالذكر فقد كانت المصاهرة بين أسرتي آل الصدر وآل ياسين ولازالت قائمة وهما من أبرز الأسر العلمية في الكاظمية والنجف.

٤ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين (١٣٧٠هـ) فقيه متضلع، امتاز بالصلاح والتقوى والنزاهة والشرف وسلامة الذات، يتحدث عنه الشيخ آغا بزرك الطهراني قائلاً: (عرفته ـ رحمه الله ـ في حدود سنة ١٣٣٠هـ بواسطة الحجة السيد حسن الصدر في داره بالكاظمية فكان منذ ذلك التاريخ مثالاً للعلم، والفضل والورع وسمو الأخلاق وحسن الملتقى)[٦] عرف من كتبه (حواشي العروة الوثقى)، إضافة لعلمه فقد كان شاعراً مجيداً ترجم له علي الخاقاني في كتابه (شعراء الغري)، فمن شعره:

إن جئت كوفان يوماً وطفت تلك المغاني
زر مسلم بن عقيل وحي مرقد هاني
تحظى بما ترجيه من المنى والأماني

ساند فكرة إنشاء منتدى النشر

أساتذة سماحة الشيخ محمد حسن آل ياسين وهم من أعلى اليمين:
١ـ والده الشيخ محمد رضا آل ياسين.
٢ـ الشيخ عباس الرميثي.
٣ـ الشيخ محمد طاهر آل راضي.
٤ـ السيد أبو القاسم الخوئي.
٥ـ الشيخ عبد الكريم الجزائري.

التي دعى إليها الفقيه الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره.

ولادته وحياته:

ولد الشيخ محمد حسن في النجف الأشرف في الثامن عشر من شهر جمادى الآخر سنة (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، وقد أرخ له والده تاريخ ولادته بقوله: (قل ليهن الرضا بمولوده).

في هذا الجو الإيماني المفعم بالعلم والنبوغ نشأ على أبيه وهو يرى فيه ذلك الفقيه المبجل والعالم الفاضل، فلم يبخل الأب على ابنه الوحيد بشيء، إذ أعد له كل مقومات النجاح، فعكف على تربيته ووجه إليه جل عنايته، وأولاه من الرعاية والعطف ما قل نظيرها، لأنه عز عليه أن يرى له ولداً يعيش، فكان مولد الشيخ الجليل نعمة إلهية أنعم الله تعالى به على والده الفقيه، فعني به عناية فائقة حتى جعل منه شاباً حسن السيرة والسريرة، تغذى بلبان الفضل، وسقي منه نسغ المثل العليا والمبادئ السامية، وبذلك نظر فيه والده آملاً لهذه الأسرة، ومن هنا كانت سيرته امتداداً طبيعياً لسيرة والده خالد الذكر، فأحتل مكانة متميزة من التمكن

للفضيلة نجومها

والوثوق والاطمئنان فشب كما أراد والده خاضعاً حياته لمقتضيات واجباته العلمية، نشيطاً في بناء شخصيته على أسس راسخة محكمة.

أساتذته وشيوخه:

وكان من جملة اهتمامات الوالد بولده أن اختار له أساتذة أكفاء، علاوة على متابعته بنفسه، وبعد أن أنهى المراحل الابتدائية من مقدمات وسطوح، انتقل إلى مرحلة البحث الخارج حيث يدرس الفقه والأصول دراسة استدلالية معمقة، وقد تتلمذ على شيوخ كبار وهم كل من[٧]:

١- الفقيه الشيخ عباس الرميثي في الفقه.

٢- الفقيه الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي في بلاغة الأصول.

٣- الفقيه الشيخ عبد الكريم الجزائري، الذي نال منه شهادة الاجتهاد في عام (١٩٥٤م) أي أن عمره آنذاك كان ثلاثة وعشرين سنة، إذ كان في ريعان الصبا والشباب وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عبقريته واجتهاده العالي ومستواه الرفيع الذي مكنه من نيل تلك الدرجة العلمية.

٤- الفقيه الأكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، فقد منحه وكالة عامة تخوله استلام الحقوق والتصرف بالشؤون الفقهية والشرعية العامة وهي وكالة متميزة قلما منحها لرجل مجتهد.

إضافة لهؤلاء الفحول والجهابذة فقد استغل افتتاح منتدى النشر، فانخرط في صفوفها وأكمل مراحلها العالية حتى أنهى القسم العالي الذي سمي فيما بعد بـ(كلية الفقه).

حياته العلمية:

قضى الشيخ محمد حسن عشرين سنة يدرس الفقه والحكمة والمنطق والأدب، مواصلاً زمناً على زمن العلم والتأليف والوعظ، وقد آمن قدس سره بنظرية إحياء التراث العربي - الإسلامي، حتى عد من الداعين لها والعاملين على تحقيقها.

ويرى الباحث حميد المطبعي إن الشيخ (...اختصر حياته بثلاث أدوار خلال خمسة عقود وهي:

١- دور المفكر الإسلامي: وبه حاول تحويل المبادئ إلى مفاهيم، والأفكار إلى حقائق، والمنطلقات إلى مراكز عمل، وجاهد في هذا الحق بعد أن وجد الجيل يعزف عن قراءة الإسلام، أو بعد أن نفر الجيل من كل ما يتصل بقديمه التاريخي بجهل وغفلة... ومع دفاعه عن قيم القديم فقد دعا إلى التغيير لكن بحسب قوانين الضرورة وليس بحسب قوانين اقتلاع الجذور.

الشيخ محمد حسن آل ياسين..

٢ـ دور الرسالي، ورأى أن الفكر لا يكفي لمهمة رسالية إن لم تفتح له منافذ،فأسس ابتداء لذلك (دار المعارف) ولها ديوان نشر ومكتبة، ثم أسس الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، ورسخ فيها الإسلام العصري ثم أصدر وأشرف على مجلة البلاغ وكانت في طليعة المجلات التراثية في مرحلة الستينات، لكن السلطات حين اكتشفت أن منافذ الشيخ آل ياسين بدأت تهدد مصالحها وضعت العراقيل والموانع لإيقافها وأمرت بإغلاقها.

٣ـ دور المعرفي: وتصدى في هذا الدور إلى التاليف وهو في عشرينياته، فألف الكتب وحقق النافع وعلق بالهوامش والحواشي موضحاً بأن غاية التأليف كشف الغلط أو تعرية الزيف التاريخي...، كان ينقل المعرفة من المستوى النظري إلى المستوى الجدلي، ومن الجدل إلى تقديم البراهين الاستقرائية أي أن الشيخ ما كان هدفه التأليف لذاته، إنما كان هدفه جعل التراث معرفة بالحقائق وتعميق الصلة بين ماضي حقيقي مبرهن عليه وحاضر هو جزء متمم هو جزء متمم لوجدان الماضي...)[٨].

في حين تقول الباحثة بتول الجنابي: (وكان لتفوقه العلمي في جامعة النجف الأشرف أثر كبير في إتاحة القدرة الفائقة التي يستطيع بها أن يفصح عن مكنونات نفسه بأحلى صور الافصاح)، ثم تعرض الباحثة لطريقة بحثه فتقول: (وكثيراً ما كان يعمد إلى ذكر الأدلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي ليستلها استلالاً كي يدفع بها أقوال مناقشيه ومجادليه فيفحمهم بلا معاناة)[٩].

وأما عن سعة اطلاعه فيقول الباحث حميد المطبعي: (موسوعيته قائمة على التبحر في العلوم كافة إذ كان يعتقد أن المعرفي ما لم يتجذر في كل علم فلا يستطيع أن يفهم مدارك الناس...، ولم يترك علماً إلا وله حصة فيه بحث واستنتاج ثم عالج السياسة الإسلامية بروح النقد ورد الفروع إلى أصولها وكان يقول: (إن التاريخ مغشوش وينبغي تطهيره بالبينة).

غادر الشيخ محمد حسن النجف متجهاً نحو الكاظمية عام (١٩٥٣م)، ليحل محل عمه ووالد زوجته العلامة الشيخ راضي آل ياسين صاحب كتاب (صلح الحسن)، والذي توفي في ذلك العام، فأقبلت عليه جموع المؤمنين والمثقفين ينهلون من نمير علومه وطيب أخلاقه.

كما كانت أسفاره محطات بارزة في حياته حيث زار أغلب المكتبات الشهيرة في العالم واطلع على مخطوطاتها ورجالاتها، فجعل من تلك الرحلات مجالاً خصباً للنقاش والتباحث وتداول الآراء إضافة لاقتنائه من مصورات المخطوطات الموجودة في تلك المكتبات، مستفيداً منها في البحث والتحقيق والتأليف وهو ما أغنى مكتبته الشخصية العامة بنوادر الكتب والمصورات.

للفضيلة نجومها

نتاجاته الأدبية والعلمية:

يعد الشيخ فضلاً عما تقدم من حيازته لشتى المجالات العلمية والمعرفية، شاعراً متمكناً، فمنذ نعومة أظفاره أخذ ينظم الشعر متأثراً بالبيئة النجفية التي كان فيها الشخص البسيط يتذوق الشعر ويحفظ نماذجاً منه عن ظهر قلب، فكيف بالذي ولد ونشأ في منتدى أدبي ثقافي إسلامي، فقد عده علي الخاقاني من شعراء الغري فترجم له في الجزء السابع على الصفحات (٥٤٧-٥٥٣) ومنها قال في ميلاد النبي:

أشرق الكون بالسنا يتوقد
حينما أشرق الوليد محمد
حادث هز عالم الأرض بشراً
فانحنت عنده العوالم سجد
لاح في عالم الجهالة بدراً
يهتدي الكون في سناه ويرشد
وتراءى في ظلمة الشرك نوراً
عبقرياً لنار فارس أخمد
ثم غاضت مياه ساوة لما
أن طما بحره الخضم وأزبد

أما كتبه التي بلغت ثمانون فقد تنوعت بين تأليف وتحقيق، وقد ركز قدس سره على محاور أربعة، رتب كتبه خلالها وهي:

١- محور التاريخ، وكان هذا المحور من أهم المحاور التي دارت فيه كتب فقيدنا آل ياسين حيث وجد في التاريخ تناقضات كثيرة وحقائق مغيبة، قدرت لها الأقلام المأجورة أن تبقى دفينة، فشمر عن ساعده معتمداً على تحليل النص وتفكيكه من أجل إثبات الصحيح وإظهار الحقيقة، فهو مؤرخ ومحلل في لحظة واحدة ومن أهم كتبه في هذا المحور تاريخ المشهد الكاظمي ونصوص الردة في تاريخ الطبري، كما يعتبر الشيخ قدس سره أول من حقق فيما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله من بنات، وأنه صلى الله عليه وآله لم ينجب سوى فاطمة عليها السلام فقط..

٢- محور علوم الدين وأهم كتبه التي ألفها في هذا المجال، الإسلام والسياسة، الإسلام ونظام الطبقات، الإنسان بين الخلق والتطور (بقسمين)، الدين الإسلامي بأصوله، هوامش على نقد الفكر الديني، وقد ردّ فيه على شبهات الملحدين والمنحرفين التي عرضت في كتاب (نقد الفكر الديني).

٣- محور اللغة العربية وعلومها وآدابها، نذكر من أهم كتبه في هذا الجانب، معجم النبات والزراعة (جزءان)، المعمى والأحاجي والألغاز، مسائل لغوية في مذكرات مجمعية.

٤- محور السير والتراجم والكتب المحققة، في عام (١٩٥٧م)، كانت

الشيخ محمد حسن آل ياسين..

بداية الشيخ مع كتب التراجم والسيد متناولاً شخصية الصاحب بن عباد وقد قدم لهذا الكتاب الشيخ محمد رضا الشبيبي ثم حقق ديوان للصاحب بن عباد وكتابه الفرق بين الضاد والظاء ومن الكتب التي حققها الاشتقاق للأصمعي وكتاب مقدمة كتاب العين للخليل وكتاب مناقب جعفر للمقدسي.

إضافة لعشرات البحوث والمقالات التي نشرتها له المجلات والدوريات العربية وترجمت بعضها إلى لغات في دوريات أجنبية.

وفاته:

لقد عانى الشيخ ما عاناه من الأمراض التي لازمته وأقعدته وخصوصاً في الفترة الأخيرة من سني عمره الشريف، وكانت فترة الحكم البائد من أصعب الفترات التي مرت على سماحته قدس سره حيث حاربته السلطة بشتى الوسائل لأنها وجدت فيه ذلك الصوت الثوري المطالب بإحياء واستنهاض الروح الإسلامية في مجتمع سيطرت عليه فئة عملت على هدر ثرواته الاقتصادية والاجتماعية ولعل من أشد الضربات التي لاقاها من النظام البائد هي إعدام ابن عمته المفكر الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر قدس سره.

وفي يوم السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧هـ التحقت روحه الطاهرة ببارئها، لتحل في رضوانه وجناته مع ساداته وشفعائه الأئمة الطاهرين من آل طه وياسين.

أيها السائر في درب الخلود
سرْ هنيئاً غاية السير منى
جنة الفردوس داني قطفها
طاب ذاك القطف لوناً وهنا
خذْ من القول زواكي الكلمات
خذ من المدح علواً وسنا
قد قضيت العمر حِلْساً للكتاب
وخدين العلم أصلاً وبنا
لك في التاريخ طوراً نظرات
ملؤها التمحيص نفعاً وغنى
لك في الدين دروس وعظات
دحضت للكفر رأياً معلنا
رائد النور ويا داعي الرشاد
ما عسى قولي يوافيك الثنا
أدب فقه وأخلاق حوى
صدرك البحر وكم درّ جنى
كوكب من آل ياسين هوى
يوم نادى صارخ (وا حسنا)

---

(١) محبوبه، ماضي النجف وحاضرها ٥٢٧/٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الجنابي، محمد حسن آل ياسين وجهوده في اللغة والتحقيق، مقدمة رسالة ماجستير.
(٤) المصدر السابق.
(٥) ماضي النجف وحاضرها ٥٣٠/٣.
(٦) آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة ٧٥٨/٢.
(٧) محمد حسن آل ياسين وجهوده في اللغة والتحقيق، مقدمة رسالة ماجستير.
(٨) المطبعي، محمد حسن آل ياسين مرجعية في الاجتهاد، مقالة في جريدة الزمان ع٢٢١٤.
(٩) محمد حسن آل ياسين وجهوده في اللغة والتحقيق، مقدمة رسالة ماجستير.

الرمزيــة والجمــال

في فنون العمارة الإسلامية

• د. علي ثويني
معمار وباحث في شؤون العمارة الإسلامية
ملكة السويد

ينابيع مثلما تداخلت الأرقام والأشكال الهندسية في عالم شاسع من الظنون والروحانيات والعقائد فان للألوان مداها وعمقها بنفس البعد في دواخل النفوس، فتظهر تارة بهيئة ملموسة لما ندعوه بالذوق الجمالي المتماشي مع السجية الخاصة بكل إنسان والذي يقول عنها الفرنسيون (إنه الأمر الذي لا يقبل النقاش). وتارة أخرى بنفس إيماني وروحانيات واعتقاد تداخل مع الدين والأعراف والأسطورة للمجتمعات، واختلافها في ذلك يدعوا للعجب أحيانا. فها هي مثل مريم العذراء ذات السحنة الشقراء في المخيلة الشعبية للغربيين قد أصبحت وبطفرة غريبة ذات سحنة سوداء لدى المؤمنين البرازيليين.

وللألوان والتعبير الفني تلاقح منذ رسوم الكهوف مثلما هي العلاقة الأزلية في أسمى صورها بين الفن والعقيدة، حتى انتقلت إحداها للأخرى وأصبح اللون أداة رامزة لمفاهيم العقيدة، ولاسيما عندما استنتج عملياً أن اللون هو صفة للنور والضوء وبدونه ينتفي وجوده، وأن للنور السماوي الآتي من الشمس قدسية وحظوة يكتسبها في جل المعتقدات، مما جعل للون تداخل في تلك الحظوة.

ويعود الاهتمام بالألوان لأسباب كثيرة، ولكن من المعروف أن الإنسان يتعلم من بيئته المحيطة ويقلدها فيما يصنع. وكثيراً ما يبالغ بإظهار ما تعلم، فأهل القرى الذين يعيشون بين مسطحات هائلة المساحة وذات لون واحد كالسماء أو الصحراء أو الحقول الخضراء يتفاعلون بشدة مع الألوان الموسمية التي يرونها كتفتح الأزهار فيحاولون الإبقاء عليها لتذكرهم باللحظات الجميلة.

يتم الاحتفاظ بهذه الألوان من خلال استخدامها في الأشياء التي يصنعوها ومن ضمن هذه الأشياء بيوتهم. لذلك نرى الجدران والأبواب والنوافذ في مناطق كثيرة غنية بالألوان الفاقعة أو الحارة لتوازن الرتابة اللونية المحيطة[1].

إن وظيفة اللون الجمالية والتزيينية، عملت على توضيح الصورة وإبراز الفكرة، وتعميق المعنى وبلاغة التعبير، والتأثير في التشويق أو التنفير، وفي الترغيب والترهيب، وهي بذلك توقظ القلب، وتنبه الحواس، وتثير الشهية للتذوق، بما ترسمه من تنميقٍ وتنسيقٍ وتصويرٍ وتدريجٍ في الظلال والإيحاءات، حيث تحقق عوالم فريدةً ومتكاملةً فيها البلاغة والإعجاز، ومنها تؤخذ العبر[2].

واللون على العموم جزء من حياة الإنسان، وإذا نظرنا للعالم حولنا نجد أننا نعيش في محيط لونى تتغير ألوانه

روائع العمارة الإسلامية تتجلى في تاج محل في مدينة أكرا الهندية

طروحات عامة

باستمرار. وقد تعلق الإنسان منذ اللحظة الأولى لوجوده بالألوان، واستخدامها لتلوين جسمه وتزيينه ونقلها بعد ذلك إلى مصنوعاته وجدران مسكنه، وأخيرا إلى عمارته.

الألوان في القرآن الكريم

لا يمكن دراسة الألوان في عمارة المسلمين وفنونهم دون المرور على التأثيرات الروحانية التي وردت من مصدرها القرآني والتي هيمنت برمزيتها وتفاسير مفاهيمها على توجهاتهم وأذواقهم اللونية. وعلى العموم نجد أن اللون في العقيدة الإسلامية جاء يحمل دلالات تعبيرية او رمزية أو حسية او جمالية، وارتبط اللون بمصدرين جوهريين أولهما النور القادم من السماء المقترن بالخالق الأعلى فهو (نور الله) أو (نور القلوب) بما يعنيه الأيمان المنّور لدواخل النفس المظلمة. ونجد هذا الإرتباط في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّه سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)[٣]. وورد لفظ اللون في القرآن الكريم تسع مرات في سبع آيات كريمة، كما في قوله تعالى(قالوا ادعُ لنا ربك يبينْ لنا ما لونُها)[٤] ويبدو واضحاً أن اللون هنا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يرمز إلى الفروق والتباين وتعدد المشارب. ناهيك في ذلك عن اعتبار اختلاف الألوان في ناموس الطبيعة والخلق بحد ذاته معجزة ربانية تدعوا للانتباه والأيمان وان توزيعها لم يكن يوما ما عبثا في الكون، كما ورد في الذكر الحكيم: (أَلَمْ تَرَى أَنَّ

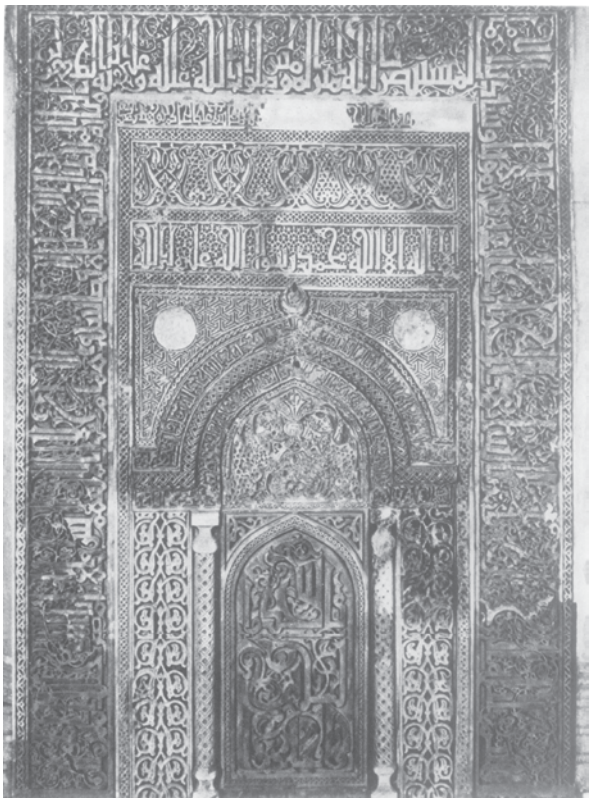

محراب المستنصر في جامع أحمد بن طولون في مصر

اللَّهَ أَنْـزَلَ مِـنْ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَخْرَجْنَا به ثَمَرَات مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهَـا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيـضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِـفٌ أَلْوَانُهَـا وَغَرَابِيبُ سُـودٌ. وَمِـنْ النَّـاسِ وَالـدَّوَابِّ وَالْأَنْعَـامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ غَفُورٌ)[٥].

وورود الالـوان في القـرآن بدلالات إختلاف ألـوان الناس والـدواب والثمار والـزروع والنفـوس والـذي يكمـن فيـه رمزيـة إختلفـت بها العقائـد. كما وردت العبـرة من اختلاف ألسـنة الناس كحالـة إعجازيـة يريد أن يبيـن اللّه لنا قدرتـه وحكمته كمـا في: (وَمِـنْ آيَاته خَلْـقُ السَّـمَاوَات وَالْأَرْض وَاخْتِـلَافُ أَلْسِـنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات لِلْعَالِمِينَ)[٦]. وثمة علامة لغوية رامزة بين كلمتـي (ظلمـة) و(ظلم) المقتـرن بقبح الظلـم والطغيـان المنافي لجمـال العدل والقسـطاس الإلهـي، والحقـد المنافـي لجمال الحب والانحـلال المنافي لجمال التسـامي والارتفـاع. وهكـذا كل مـا يعرض لحياة البشر من انحراف واختلال فهو قبح لانه ابتعـاد عن الجمال الواجب اقترانـه مع إرادة اللّه فـي خلقه للكون. ووردت فـي القـرآن ألـوان الاخضـر والاصفـر والابيـض والازرق والاسـود والاحمر، إضافة الى وجود الفاظ أخرى تحمل معاني الألوان من لفضها كما في (أحوى) و(وردة كالدهان)... الخ.

وثانـي الحوافـز المرتبطـة باللـون هو مـا يتعلق بالأداة الجاسـة لذلك النور واللون وهي العين البشرية التي ذكرها اللّه فـي مجمـل آياته و نعمـه على الناس مـن خلال وهبهم هـذه الأداة المعجزة[٧].

ويردنا فـي هذا السـياق نفحـات مـن الفلسـفة الرمزيـة والجمالية في نونية المعري (الأعمـى)[٨] في الفرق بين الظلام والبيض:

عللاني فإن بيض الأماني
فنيت والظلام ليس بفان
ليلتي هذه عروس من الزنـ
ـج عليها قلائد من جمان

ونجد أثـراً لرمزية الألـوان ورد في الأدب العربـي مـن خـلال شـعر صفي الدين الحلي، ويقـال بأن البيارغ العربية الحديثة قد استلهمت من هذه الدعوة:

بيض صنائعنا خضر مرابعنا
سود وقائعنا حمر مواضينا

وفي سـياق رمزية اللون في الذكر الحكيـم نجد أن اللون الأسـود تكرر في أربـع آيات وصفت فيهـا المجرمين والكفار والمنافقين أما الرابعة فجاءت تصـف توقيت بدء الإمسـاك عن الطعام في رمضـان (وَيَـوْمَ الْقِيَامَة تَـرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّه وُجُوهُهُمْ مُسْـوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ)[٩]. أما اللون الأبيض فتكرر ذكره في تسـعة آيات كريمة ودل على الهداية والنقاء والصفاء والحـب والخيـر والحـق والمشـاعر الإنسانية، وكذلك في وصف حال النبي يعقوب عليه السلام وقد حزن على أبنه يوسـف (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَـفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[١٠]. وورد اللـون الأزرق مرة واحدة يدل على زرقة السماء المنعكسة على صفحة ماء البحر. وورد اللـون الأحمر كذلك مرة واحـدة في وصـف الجبال. أمـا الأصفر

طروحات عامة

فيرد ثلاث مرات دالا على مرحلة نضج الثمار مرة ووصف لمشهد يوم القيامة والرياح الحانقة في أخرى أو للتعبير عن البهجة كما في قوله تعالى: (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)[11]. واللون الأخضر يتكرر في ثمان آيات ويرمز فيها الى سر الروح والنضارة والجمال والشجر والنبات والثمر والطير والفراش والبساط والثوب[12]... وهو بذلك أكثر الألوان شروقا ومتعة باعتباره من الألوان المريحة المحببة للنظر، وبه كانت ثيابُ أهل الجنة، وهو رمزٌ دائمٌ للحب والأمل والخصب والخير والنماء والسلام والأمان كما في قوله تعالى (فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا)[13].

أما الأصفر فرمز للونُ الذهب الإبريز، ونور الشمس، يتجلى واضحاً عند الغروب في السماء والآفاق، وهو لون النار والزرع اليابس والناضج، يتميز بخصائصه الجمالية، التي تسيطر على الأحاسيس البشرية والمشاعر العاطفية، استعاره الإنسان منذ القديم للقداسة والتعبير عن المشاعر السامية والغامضة. وقد ورد لفظ اللون الأصفر في القرآن الكريم خمس مرات: (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)[14]. وإذا كانت الصفرة في البقر تسر العين، فإنها في الآيات الباقية، تدلّ على المرض والموت ونهاية الحياة، لذلك قال بعض المختصين: إذا كان الأصفر هو لون الذهب والشمس، والغروب الجميل فإنه أيضاً لونُ الخريف، نهاية ا لحياة، ولونُ الصحارى القاحلة، ولونُ الجسم مع الأمراض المزمنة، وغير ذلك من الموحيات المؤثرة التي تثير الأسى في النفس.

واللون الأبيض، لونُ الصفاء والنقاء، والهداية والحب. والخير والحق والعدل والجلاء. وإثارة المشاعر الإنسانية النبيلة، وهو لونٌ تعبيريٌ في الدرجة الأولى، كما هو لونٌ رمزيٌ. وقد ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرةً، وعكسه اللونُ الأسود الذي كثيراً ما يعبر عن الظلم والظلام والضلالة والإثم والحقد والغضب والكذب، وقد ورد في الكتاب العزيز سبع مرات كما ورد لفظا الأبيض والأسود في أكثر من آية جنباً إلى جنب لإظهار مفارقة بين ضدين كالحق والباطل أو الإيمان والكفر أو لبيان مقدرة الله تعالى في الخلق. وألفاظُ البياض والسواد نجدها في الآيات: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[15]. وكذلك في (تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ)[16]. إن دلالة اللون الأبيض في الآيات الكريمة توحي بالإيمان والحزن الصادق، كما تشير إلى ميقاتٍ زمني يحدد بدء شعيرةٍ

تعبّدية، واللون رمزٌ للنقاء والصفاء والطهارة، وصفةُ شراب أهل الجنة.

وهو في الطبيعة لونٌ متميز من صخر الجبال والرخام بما يدل على قدرة الله. واللون الأبيض محبب ومريحٌ للنفس على عكس اللون الأسود، وما يوحي به من قتامة وكآبة وألم نفسي. والوقوف عند اللون الأبيض، يرينا أنه قد ورد ثماني مرات مترافقاً بأعضاء جسم الإنسان منها خمس لليد، واثنان للوجه، وواحدة للعين. أما اللون الأسود الذي ورد في الآيات الكريمة سبع مرات، فإن منها خمساً اقترنت بالوجه لتجسيد حالة محددة يتصفُ بها الكفار والذين في قلوبهم مرضٌ، وتعبيراً عن حالة من الاكتئاب النفسي تنعكس على الوجه لأنه مرآة النفس والروح.

واختيارُ الوجه لتنعكس عليه الحالة النفسية، فيه حكمةٌ بالغةٌ، ليُعبّر عما في الجوانح من أحاسيس وهموم وخوف وألم. وهذه الصورةُ الإنسانيةُ الكئيبة التي تصور حال الكافرين من شأنها أن تفعل فعلها المؤثر في النفوس، فتعمل الألوان فعلا أخلاقيا رامزا.

واللون الأزرق يستخدم في وصف ما يؤول إليه حال المجرمين يوم القيامة. يقول تعالى: (يوم يُنفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً)[١٧]. كما أن مجيء لفظ اللون الأزرق في هذه

القباب والزخارف الإسلامية واضحة في مسجد أصفهان الكبير

الصورة المخيفة، كان على عكس ما يراه علماء اللون، الذين وجدوا فيه لوناً بارداً، ورموزاً للحكمة والتفكير العميق والسعة والهدوء والسكينة والوقار، وبرودة الليل... إضافة إلى الحقيقة المنطقية التي وُجد عليها هذا اللون، إذ هو أكثر الألوان انتشاراً في الطبيعة، لأنه لون السماء الصافية ولون البحر، ولو أن المهتمين فكروا- بعد تدبر الآية الكريمة- لتغيرت نظرتهم، واستفادوا من مدلول اللفظ القرآني.

ولم يرد اللون الأحمر في القرآن الكريم بلفظه الصريح سوى مرة واحدة مزروعة بين اللونين الأبيض والأسود كما في (وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[18] كما وردت في لفظ آخر لتدلّ على لون السماء حين تنفرج أبوابها لنزول الملائكة في قوله تعالى: (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)[19]، ولونُ الوردة هنا يدل على لون الجلد، كنايةً عن عظم هول يوم القيامة. ولونُ الحمرة الصريح في الآية الأولى يقع ضمن سياق متناسق تناسقاً فنياً فريداً من التصوير الرائع، حيث تتوزع الألوان في رقعة حجرية من الأرض، وفيها ما يريح النظر ويبعث المتعة في النفس.

طبيعة الألوان

عندما نتحدث عن اللون في العمارة لابد من الانتباه إلى أمرين اثنين: أولهما أن للون أثرا في إعطاء العمارة أبعاداً جمالية لا يجب اعتبارها إضافية وإنما ضرورية ومطلوبة وقد سعى إليها الإنسان في معظم أعماله المعمارية. وثانيهما أنه يجب الاعتماد على أسس عملية وفنية للوصول إلى التكوين اللوني المتميز والجذاب. وفي الحقيقة فقد تطورت مع الزمن نظريات ومبادئ وتوجهات كثيرة بالنسبة للدراسات اللونية. بعضها يعتمد على النواحي النفسية للإنسان مفادها أن للون اثرا في تحديد أو توجيه أحاسيسنا ومشاعرنا.

فاللون الأزرق مثلاُمريح للأعصاب لذلك يستخدم في المشافي، بينما يساعد اللون الأخضر في النشاطات الفكرية لذلك يستخدم في سبورة الدراسة. أما اللون الأصفر فإنه يبعث شعوراً بعدم الارتياح التام لذلك يستخدمه كثير من أصحاب المطاعم السريعة في تصميماتهم الداخلية كي لا يبقى الزبائن فترات طويلة في المطعم مما يسمح لغيرهم بالدخول.

أما المحور الأهم في الدراسات اللونية فهو المعتمد على النظريات الفنية. هدف هذه النظريات الوصول إلى قواعد تشكيلية لتركيب الألوان مع بعضها البعض للحصول على أعلى متعة جمالية ممكنة. تعتمد هذه النظريات على أسس التشكيل بصورة عامة (كالتوازن

والتكرار والإيقاع والتضاد). ضمن هذه الأسس صار للألوان نظرياتها الخاصة، فعلى سبيل المثال، نذكر نظرية تجانس وتضاد الألوان التي يعتمد عليها المصممون في اختيارألوان مشاريعهم. حيث تعتمد تطبيقات هذه النظرية على ترتيب خاص للألوان تظهر من خلاله الألوان المتجانسة مجاورة لبعضها البعض بينما توضع الألوان المتضادة بشكل متقابل. يسمى هذا الترتيب الخاص دائرة الألوان. يختار المصمم مجموعة ألوان متجانسة مع بعضها البعض وفقاً لهذه الدائرة ليضمن وصوله إلى تشكيل مقبول، ثم يستخدم في بؤرة محدودة المساحة ولكنها مهمة في التكوين لونا مضاداً للألوان التي استخدمها في التشكيل الأساسي[٢٠]. أما في العمران فقد يتبع المصمم أساليب مشابهة في دراساته لواجهات المباني، فمثلاً يستخدم لوناً حاراً لمدخل المبنى للتأكيد عليه بينما يعطي المبنى كله لوناً بارداً أو حيادياً. وقد يعطى سقف المبنى لونا غامقاً بينما يستعمل لونا فاتحاً على معظم مساحات الجدران كي يمنح السقف ثقلاً إضافياً ليضغط بصرياً على المبنى ويثبته في الأرض. وعلى العكس من ذلك يمكن للألوان الفاتحة أن تجعل المبنى خفيفاً وكأنه حر من قيود الموقع[٢١].

ولدى تحليلنا لتلك الألوان يجدر بنا استباق معرفة كينونة هذا الاختلاف فيما بينها، فإن الدراسات التحليلية الحديثة للألوان قد بينت أن للون ثلاث مواصفات أساسية هي:

١- كنه اللون (Hue) وهو الفرق الصريح بينها.

٢- قيمة اللون (Value) وهي درجة عتمته أو استضاءته.

٣- شدة اللون (Intensity) وهي درجة نقائه ومقدار خلطه مع ألوان أخرى.

وقد أدت الدراسات النفسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى ظهور أبحاث الرسامين الانطباعيين الذين قسموا الألوان إلى ساخنة وباردة بقدر الانطباع الذي ينعكس على إحساس الناظر فالأزرق وملحقاته يعتبر بارداً والأحمر وملحقاته يعتبر دافئاً. وبمنحاهم الفني هذا أعلنوا القطيعة مع الفنون الجماعية المصورة للواقع الطبيعي، والتي سرى مفعولها في فنون الأزمنة الغابرة. وكان الإحساس بدرجة اللون الحرارية إعلان عن بزوغ ذاتية الفن ومنحاه الشخصي، الذي تصاعد لاحقا في الوحشية والتكعيبية، ثم تصاعد تباعاً في مدارس الفنون الأوربية.

وبين هذه وتلك يكمن اللونان الأبيض والأسود الواردان واللذان يمثلان الحالة الحيادية لتصنيف الألوان بين المجموعة الباردة والمجموعة الساخنة وهما اللذان يتحكمان جوهرياً في قيمة اللون ويمكن الحصول عليهما من لعبة النور والظلال التي تكتنف لعبة تركيب العناصر المعمارية في الخارج في حركة القبب و القبوات و البوائك ثم تفصيليا في هيئة الطنوف والمشربيات وتدرج أجزاء البناء

طروحات عامة

التكعيبية و الافاريز و الحنايا ومساطر الطراز للخط العربي المنقوش أو في السطوح الداخلية المنحوتة الناتئة ذات البعدين أو حتى من خلال لعبة التناوب في حطات (المقرنصات)[٢٢].

وفي حركة الظل هذه تكمن إحدى خبايا الجمال المعماري والفني في إبداع المسلمين والتي نلمس حظوتها في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا)[٢٣]. حيث يصنف الفن الإسلامي من الفنون التي استثمرت لعبة المعتم والمضيء هذه مثلما كان الفن المصري القديم وفيه تنفصل القيم اللونية عن بعضها فتكون ألوانها مسطحة (Flat) غير متدرجة.

وللألوان سطوة على النفوس، فتحبيذها من خلال صيغها الثلاث أمر تختص به كل نفس، ويقول في ذلك العالم النفساني الألماني فشنر (صحيح أن اللون الأحمر جميل إذا ظهر على وجنة الفتاة، ولكنه ليس جميلا إذا برز على أرنبة الأنف. وللألوان تأثير في وظائف الجسم مثلما يؤثر الضوء في العقل والإحساس. ولكل من الضوء واللون تأثير عضوي ونفسي يظهران في بعض الوظائف الحيوية مثل زيادة الشهية وسرعة دقات القلب ومن ثم سرعة الدورة الدموية. وتبين أن للون تأثير نفسي ينعكس على الاستجابة العضوية، فبعض الألوان تثير الإحساس بالبهجة والمرح بينما بعضها يثير الكآبة والحزن. و أضافت الدراسات التي تبحث في تأثير اللون على الإدراك بعدا جديدا لتفهمنا واستخدامنا للتطبيقات اللونية وإمكاناتها في العمارة وذلك في كل من الواجهات الخارجية والفراغات الداخلية.

وثمة من يذهب إلى أنه الأذواق اللونية إرهاصة لبيئة الإنسان المحيطة حينما يتعلم منها ويقلدها في صنائعه. وكثيراً ما يبالغ بإظهار ما تعلم، فأهل القرى الذين يعيشون بين مسطحات هائلة المساحة وذات لون واحد كالسماء أو الصحراء أو الحقول الخضراء يتفاعلون بشدة مع الألوان الموسمية التي يرونها كتفتح الأزهار فيحاولون الإبقاء عليها لتذكرهم باللحظات الجميلة. يتم الاحتفاظ بهذه الألوان من خلال استخدامها في الأشياء التي يصنعونها ومن ضمن هذه الأشياء بيوتهم. لذلك نرى الجدران والأبواب والنوافذ في مناطق كثيرة غنية بالألوان الفاقعة أو الحارة لتوازن الرتابة اللونية المحيطة. وربما يكون هذا وراء حظوة اللون الأزرق إسلاميا، حينما ورد من الصحراء.

وبما أننا نعيش في محيط طبيعي لوني فأن للون تأثير على الإدراك الجمالي للفضاءات والواجهات للمبنى. ويؤثر

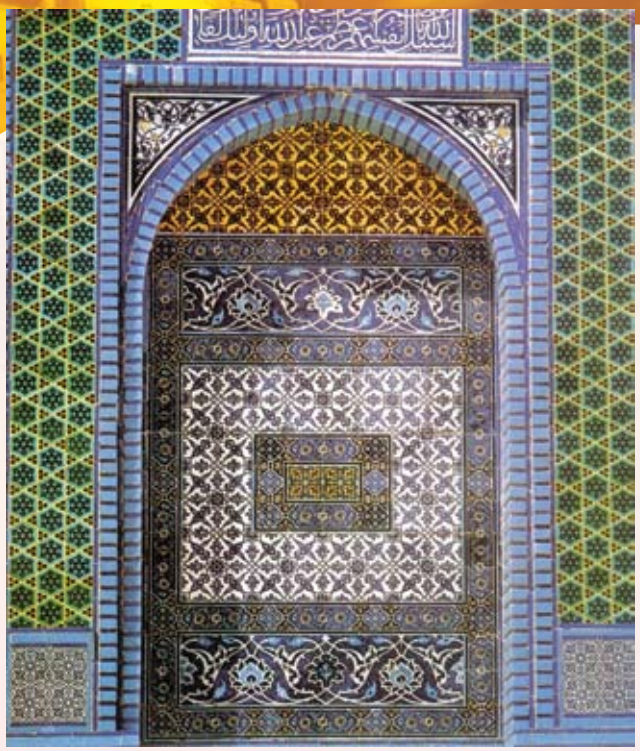

نقوش وزخارف بداخل المسجد الأقصى في بيت المقدس

اللون في وظائف الجسم مثلما يؤثر الضوء في العقل والإحساس، وبعيداً عن التأثيرات النفسية والإنطباعات فللون تأثيرات خادعة على ناظرنا بحيث أن الدافئة والفاتحة تبدوا اكبر مساحة من مساحتها الحقيقية واقرب من مكانها الحقيقي والباردة والغامقة تظهر أقل مساحة وأبعد مسافة من حقيقتها.

رمزية الألوان المقارن

في لجة الرمزية التي تبنتها الشعوب للألوان نجد ما يلفت النظر أن ثمة بوناً شاسعاً بين الذوق الإسلامي المتلذذ بتلك الألوان وتأثيراتها ودلالاتها بالمقارنة مع الأديان والثقافات الأخرى. فعلى سبيل المثال اللون الأبيض الذي يرد في الطقوس والملابس الإسلامية نجد خلافه لدى النساك البوذيين المرتدين للملاحف ذات اللون البرتقالي الفاقع الرامز لعقيدتهم الدينية.

وتكرس في ذهن الإنسان المسلم مجموعة من المفاهيم الرمزية والدلالات العميقة الجذور متداعية من مفاهيم روحانية. فنضرب مثلاً اللون الأبيض الذي عادة ما يرمز إلى النقاء والصفاء والقدسية وجاء مرادفاً لصفة الخالق بالتحديد حتى تجد المقولة الشعبية التي تذكر أن (راية الله بيضاء)، ثم جاء لون الكفن ولباس الإحرام خلال مراسيم الحج بيضاء تدلل على صفة النقاء تلك.

ثم نجد للطبيعة المحيطة وصورة الكون حضورهما في ذلك المدى

طروحات عامة

ا لفلسفي

فاللون الأزرق يلقى الحظوة التالية نظرا لارتباطه بالسماء ولون الماء الذي هو في حقيقته انعكاس لها ولكن يتداخل ذلك الإحساس بالأزرق وبكينونة الحياة وجوهرها الماء (وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[٢٤]. وبذلك جاءت الحظوة متراكبة مع روح الإسلام القادم من أعماق الصحراء العربية الشحيحة الماء والعطشى له والمتطلعة لغزارته بشوق انعكس في المعالجات اللونية بالأزرق لإشباع تلك الرغبة وتماشيا مع الحس البارد المنعكس من طبيعة اللون الأزرق الذي هو محبب لدى أهل هذه الأرض الحماد التي تسطع فيها الشمس وتلهب فيها الحرارة.

وقد انتقلت هذه الحظوة بسبب تأثيرات الروح الإسلامية حتى على الشعوب التي تقطن البيئات الأكثر اعتدالا أو حتى على النقيض بكونها باردة مثلما حدث لفنون (آسيا الوسطى) و(القوقاس) و(تركيا) و(البلقان) و(التتار) في روسيا وبولونيا[٢٥]، حتى وصل التحبب في استعمال الأزرق بإطلاق اسمه تيمنا على مجموعة من المساجد في تبريز وقونية وبورصة و اسطنبول وسميت بالجامع الأزرق بسبب اللون الطاغي في المعالجات الفنية بالقاشاني المغطي لجنباتها.

وبالمقارنة مع مدلولات الألوان الواردة من الثقافة الصينية في مثمن (با- كوه Ba-Gue) السحري وملاحظة روحانياتها بالمقارنة مع الثقافة الإسلامية أو حتى الغربية حيث أن اللون الأبيض يعني لأهل الصين الأطفال أو الثغر بينما لدى أهل الغرب يرمز إلى النصر والبراءة والسلام. واللون الأسود الذي نفهمه بأنه الحزن والموت واستعمله الشيعة لوناً للحزن على (مصاب الإمام الحسين عليه السلام) بينما هو لدى الأوربيين يرمز لعلوم الدين والظلام بينما الصينيون يرمزون فيه للماء أو الأذن البشرية. وأما اللون الأصفر الذي نجده يعبر عن اليباس والفقر والسقم فهو لدى الأوربيين الغنى واليسار أو الغيرة بينما لدي الصينيين يرمز للزواج. والأخضر الذي يرد في المفهوم العربي رمز للجنة أو الروح المرحة (روح خضراء) بينما في الغرب يرمز إلى الطبيعة والبيئة والمجهول والأمل بينما في الصين يعني العائلة أو الصحة الجيدة. أما اللون الأزرق الذي هو لدينا يعني الحقيقة أو الفلسفة لمدى عمقه وهو طارد للعين والحسد وهنا نذكر أن شياطين العرب ذوو لون ازرق (الشياطين الزرق)، أما في الغرب فيعني البركة أو الحياة أو النظافة وعلى العكس فان الأحمر هو الطارد للحسد لديهم حتى الشيطان أصبح لديهم احمر(Diable rouge Red devil)، ولدى الصيني يعني المعرفة أو السجية البشرية. والبنفسجي يعني لأهل الصين المال والثراء واليسار بينما في الغرب يعني الفخر والتباهي و الاختيال، وفي عرف العرب يرمز للرقة والروائح العطرة والرومانسية (المزاج البنفسجي). و أخيرا الأحمر اللون الحار الرامز للنار والدم وشمس المغيب فهي في خلدنا

تعني جهنم والنـار بينما في الغرب تعني الحرارة والجنس (ليلـة حمراء) والحماية (الصليب الأحمـر) أما في الصين فيرمز للعائلة أو الشرف أو النار أو العين البشرية. وباختلاف الأجنـاس والبيئات ثم العقائد والأفـكار اختلفـت الأذواق وتعـددت رموز الألوان ومدلولاتها وانعكس ذلك في الفن والعمارة.

ولا غرو في رصد أن للعقائد اليهودية والمسـيحية الكثير مما تشـترك به في رمزيـة الألوان ومدلولاتهـا دون مطابقة. وربما يعود ذلك لسبب الصفة التوحيدية المشـتركة وكذلك البيئة الواحدة التي خرجت منها الديانات السـماوية الثلاث. وهنـا نذكـر المفارقـة بين مـا ورد في التـوراة بوصـف جبـل الزيتـون الواقـع شـرق القدس والذي يسمونه في التلمود (جبل المسح)أي التتويج لان زيت زيتونه المقدس يسـتخدم في تتويـج ملوكهم. مـن اجل ذلـك كانـوا يقومـون بحرق بقرة حمراء قرباناً لله ثم ينثرون رمادها لتطهير معابدهم أما في القرآن فقد ورد لون هذه البقرة اصفر فاقعاً ■

(١) د. رافـع ابراهيم حقـي - جامعة الملك فيصل مقال: الألوان في العمارة فن ووظيفة شبكة الأنترنت.

(٢) محمـد قرانياً مقال ظاهـرة اللون في القرآن الكريم، مجلة تراث إتحاد الكتاب العرب - دمشق.

(٣) سورة نوح الآية ١٥-١٦).

(٤) سورة البقرة الآية٦٩.

(٥) سورة فاطر الآية ٢٧-٢٨.

(٦) سورة الروم الآية ٢٢.

(٧) أثبتـت البحـوث العلميـة الحديثـة أن جـل الكائنـات لاتـرى الالـوان واجريت بحوث على السباع الذي ظهر أنها لاترى إلا اللونين الأبيض والاسود، وأن لون الحمار الوحشـي يجعلها لا تفـرز بين عددها ومواقعها، وبذلك فهـي لا تتمتع بالجمال اللونـي وهـذا كرم مـن الله لبني البشـر.

(٨) د. عدنان الرشـيد، مفهوم الجمال في الفن والأدب-كتاب الرياض -أبريل ٢٠٠٢.

(٩) سورة الزمر الآية ٦٠.

(١٠) سورة يوسف الآية ٨٤.

(١١) سورة الفرقان الآية (٤٥-٤٦).

(١٢) مجلـة الثقافيـة، العـدد٣٧-٣٨ \لنـدن أب (أغسطس) ٢٠٠٠.

(١٣) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(١٤) سورة البقرة الآية ٦٩.

(١٥) سورة آل عمران الآية ١٠٧.

(١٦) سورة الزمر الآية ٦٠.

(١٧) سورة طه الآية ١٠٢.

(١٨) سورة فاطر الآية ٢٧

(١٩) سورة الرحمن الآية ٣٧.

(٢٠) فشلر، علم النفي ص ٤١٢.

(٢١) فشلر، علم النفي ص ٤١٢.

(٢٢) المقرنص عنصـر معماري يرد بخصوصية فـي العمارة الإسـلامية، وهـو متكون من عدة حنايـا متكررة ومتراكبـة مع غيرها علـى طبقـات وبنظـام تناوبـي مـع إنتقـال تقهقري نيجعل منها مناسـبة في الطنوف أو الإنتقال من مستوى الى أخر كما في زوايا القبـاب، وقـد ورد في الهياكل الإنشـائية بقـدر وروده كنعصـر تزييني يلعب الضوء والظل فيه دور الجمال).

(٢٣) سورة البقرة الآية ٦٩.

(٢٤) سورة الأنبياء الآية ٣٠

(٢٥) أطلعت شخصيا على الأقلية المسلمة القاطنة فـي أقصى شـرق بولونيا وعددهـم يقارب الثلاثة آلاف، وهم يقطنون في منطقة جبلية باردة، ويحبـذون اللون الأزرق والفيروزي، بما جاء من الاعراف الإسلامية.

التتمة في العدد القادم

البرزخ

دراسة علمية حول عالم البرزخ في الأحاديث والعرفان

• أسامة النجفي

ينابيع الرؤية الإسلامية بالنسبة إلى عالم البرزخ هي أن الموت ليس نهاية الحياة، و إن الحياة لا تنعدم بالموت، بل الإنسان ينتقل بواسطة الموت من نشأةٍ إلى أخرى، و من حياةٍ في عالم الدنيا إلى حياة في عالم آخر يسمى بعالم البرزخ، الذي يتوسط عالمي الدنيا و الآخرة.

البرزخ: ما بين كل شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين. والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. قال الفراء في قوله تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)[1]. والبرازخ جمع برزخ، وقوله تعالى (بينهما برزخ لا يبغيان) يعني حاجزاً من قدرة الله سبحانه وتعالى، وقيل: أي حاجز خفي، وقوله تعالى: (وجعل بينهما برزخاً) أي حاجزاً. قال: والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى[2]. إن الحياة البرزخية حياةٌ تتوسط حياة الإنسان في عالم الدنيا و حياته في عالم الآخرة، و تبدأ الحياة البرزخية من حين قبض روح الإنسان عن بدنه و إيداعه القبر، و تستمر حتى قيام الساعة. ان دراسة عالم البرزخ من أصعب الأبحاث العلمية ولكن استطاعت النظريات المعتمدة على الآيات والروايات

الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وكذلك بعض النظريات العقائدية ان تزيل الكثير من الغموض في هذا الجانب وهذه الدراسة تعرض وبشكل مبسط ومقتضب جوانب من الحياة البرزخية طبقا للأخبار وأصول علم العرفان والله هو الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

الملامح العامة

يسمى عالم البرزخ بالعالم المثالي وعالم الخيال لأنه يشبه عالم الدنيا من حيث الصورة والشكل وتعاقب الليل والنهار، لكنه يختلف عنه من حيث المادة والخواص والخصوصيات، وهو عالم يبدأ بساعة الموت، وينتهي بساعة البعث من القبور. يعني انه يمكننا تشبيهه بالصورة في المراة فالصورة ليس لها وزن ولكن لها طول وعرض. والظاهر من الأحاديث الشريفة ان عالم البرزخ من حيث السعة أوسع جدا من عالم الدنيا بل قد يطلق عليه عالم الدنيا لارتباطه بالأرض وحركة الأفلاك ولذا يشار إليه بالملكوت الأسفل في قبال عالم الروح وهو الملكوت الأعلى.

فعالم البرزخ يحمل خصائص عالم الدنيا و عالم ا لقيا مة كما سوف يتبين لنا. مع هذا نقول ان انه يمكننا دراسة عالم البرزخ علميا با ستخدا م العلوم الطبيعية. يخطر لي هذا المجال أبحاث العلماء السوفييت السرية التي أجريت أثناء الحرب الباردة والتي نتجت عن تصوير الهيكل البرزخي لأحد الأموات بل وتدريبه على القيام ببعض المهمات في تقرير أوردته قناة العربية؛ وسواء أكانت هذه الأبحاث بذاتها موثوقة أم لا فان القدر المتيقن ان الجانب الدنيوي من عالم البرزخ يمكن دراسته علميا إلى حد ما. ان هذا بالطبع مرهون بتقدم العلوم والرغبة الجدية في ذلك بل يمكننا القول طبقا لبعض الروايات بان تقدم العلوم في حكم الإمام المهدي عليه السلام سوف يمكن البشر في عهده من السفر والتواصل مع عالم البرزخ.

إن حالة النعيم التي يعيشها المؤمنون في الحياة البرزخية رغم أهميتها وكونها من قبيل نعم الجنة، لكنها لا تصل إلى مستوى تلك النعم، كذلك عذاب المذنبين من أهل البرزخ رغم كونه عذاباً أليماً إلا أنه بالقياس

إلى ما سيلاقونه من عذاب الآخرة في نار جهنم لا يُعدّ شيئاً. وان حالة البرزخ تتناسب مع عمل الإنسان، فان كان صالحاً كانت حالته في البرزخ جيدة، وإن كان فاسداً كانت حياته البرزخية شديدة، وإلى ذلك أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله :(... إنَّ لِلْقَبْرِ كَلَاماً في كُلِّ يَوْمٍ، يَقُولُ أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَة، أَنَا بَيْتُ الْوَحْشَة، أَنَا بَيْتُ الدُّود، أَنَا الْقَبْرُ، أَنَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّة، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ)[٣].

على كل حال سوف لا نستطرد في هذه الدراسة المختصرة حول تفصيلات عالم البرزخ حسب رؤية علم العرفان وإنما سوف نؤكد على خصائص هذا العالم والذي سوف نسافر إليه يوما ما شئنا أم أبينا؛ وذلك طبقا للأحاديث الشريفة والقرآن وآراء علماء العرفان، زادنا الله تعالى شانه إيمانا ويقينا وأملا ورجاءا بحياة طيبة للمؤمنين في هذا العالم وما بعده من العوالم؛

البرزخ في القرآن الكريم

لقد جاء ذكر البرزخ في القرآن الكريم في مواضع ثلاث كلها بالمعنى المتقدم، أما الآيات فهي:

١- قال الله تعالى في القرآن الكريم: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ)[٤].

٢- وقال تعالى أيضاً: (وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً)[٥].

٣- وقال عَزَّ وجَلَّ أيضاً: (...وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[٦].

ثم إن القرآن الكريم استعمل هذه اللفظة لبيان أن هناك عالماً آخراً يفصل بين الدنيا و الآخرة يمرُّ به الإنسان ، إذ قال: (ومن ورائهم برزخ...). والأحاديث الشريفة على غرار هذه الآية تؤكد على أن (البرزخ) هو الوقت الفاصل بين حياة الإنسان في عالم الدنيا وبين نشأته في عالم الآخرة ، أي من وقت موته إلى حين بعثه في يوم القيامة. وقد ورد في تفسير قوله تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)[٧]. البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.. وهو قول الصادق عليه السلام: (والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ)[٨].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (البرزخ القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة)[٩]. وعنه عليه السلام أيضاً قال: (والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ فقال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة)[١٠].

جنة البرزخ ونار البرزخ

في القرآن الكريم إشارة رائعة وبليغة إلى جنة البرزخ، والى نار البرزخ أيضاً. فبالنسبة إلى جنة البرزخ يقول جل وعلا:(جنات عدن التي وعد الرحمن

عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيا)[11].

في تفسير علي بن إبراهيم قال سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: (كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبدا)[12].

وقال في قوله تعالى: (ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيا) قال: (ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة ، والدليل على ذلك قوله تعالى: (بكرةً وعشيا) فالبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنات الخلد وإنما يكون الغداة والعشي في جنات الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر[13]. وبهذا يتضح من قول الإمام عليه السلام أن المراد بالجنة الوارد ذكرها في الآية المتقدمة إنما تشير إلى جنة البرزخ، لا جنة الآخرة، بيد إن جنة الآخرة ليس فيها بكرة ولا عشي، فحدوث الصباح والمساء إنما ينشأ بسبب حركة الأرض حول نفسها في مواجهة الشمس. نحن نعلم أن الشمس في يوم القيامة تكون قد تكورت، وماتت شعلتها، والأرض تدك دكة واحدة، والجبال ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا؛ وبالنسبة إلى دار البرزخ، فقد وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)[14].

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسيره لهذه الآية: (ذلك في الدنيا قبل القيامة، وذلك أن في القيامة لا يكون غدواً وعشياً، لأن الغدو والعشي إنما يكون في الشمس والقمر، وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر)[15].

وفي حديث آخر بنفس المضمون قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في قول الله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا) فقال أبو عبد الله عليه السلام: (ما يقول الناس فيها؟ فقال: يقولون إنها في دار الخلد وهم لا يعذبون فيما بين ذلك. فقال عليه السلام: فهم من السعداء. فقيل له: جعلت فداك فكيف هذا؟ فقال: إنما هذا في الدنيا، فأما نار الخلد فهو قوله: (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)[16].

يقول العلامة المجلسي: (إن الأخبار التي وردت حول القبر المراد منها هو عالم البرزخ لا القبر الجسماني، والرواية الواردة بأن الله يوسع على المؤمن قبره هي من منظور العالم الروحاني (عالم البرزخ)، وكذلك ظلمة وضياء القبر هي بالمعنى الروحاني لا الجسماني). ولذلك فإن الذي يعذب أو ينعم في عالم البرزخ هي الروح، لأن الروح تبقى ولا تموت، أما الجسم فإنه يفسد ويتفتت حتى يأتي يوم القيامة فيحيي الله عزّ وجلّ جميع الخلائق. يصف الله سبحانه وتعالى الحياة البرزخية للكافرين والمجرمين لاسيما آل فرعون بقوله: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[17]. فالآية تحكي عن أن آل فرعون يعرضون على النار صباحا ومساءً قبل يوم القيامة،

طروحات عامة

وأما بعدها فيقحمون في النار، لقول الله تعالى: (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب).

بقاء الروح بعد الموت

ورد عن أئمة الحق والهدى أخبار مستفيضة حول بقاء الروح بعد الموت.. وإليك بعضاً منها:

١- عن الفضل بن شاذان إن أمير المؤمنين عليه السلام اضطجع في نجف الكوفة على الحصى، فقال قنبر: يا مولاي ألا أفرش لك ثوبي تحتك؟ فقال: (لا.. إن هي إلا تربة مؤمن، أو مزاحمته في مجلسه) فقال الأصبغ بن نباته: أما تربة مؤمن فقد علمنا أنها تكون أو ستكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه؟ فقال: (يا ابن نباته إن في هذا الظهر أرواح كل مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور)[١٨].

٢- في حديث الزنديق الذي سأل جعفر الصادق عليه السلام عن مسائل أن قال: (أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره، قال: يذهب فلا يعود. قال: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا أنطفأ؟ قال: لم تصب القياس، إن النار في الأجسام الكامنة والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينها نار تقتبس منها سراج له الضوء، فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب، والروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الذي ذكرت، إن الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف، وركب فيه ضرورياً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه، قال: فأين الروح؟ قال: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث، قال: فمن صلب من أين روحه؟ قال: في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض، قال: أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ؟ قال: بل هو باقٍ إلى وقتٍ ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق، وذلك بين النفختين)[١٩].

٣- وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (... فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا)[٢٠].

٤- عن أبي ولاد الحناط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يرون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة

طير، لكن في أبدان كأبدانهم)[٢١].

٥- عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الأرواح: أرواح المؤمنين، فقال: (يلتقون. قلت: يلتقون؟! قال: (نعم ويتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت: فلان)[٢٢].

جنة البرزخ وما فيها من عذاب وعقاب

لكي نرسم صورة للقارئ الكريم عن جنة البرزخ وما فيها من عذاب وعقاب.. إليك هذه الطائفة من الروايات التي توضح ذلك:

١- عن إبراهيم بن إسحاق قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أين أرواح المؤمنين؟ فقال: (أرواح المؤمنين في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا. قال قلت: فأين أرواح الكفار؟ قال: في حجرات النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا)[٢٣].

٢- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (يُسال الرجل في قبره فإذا أثبت فسح قبره له سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنة، وقيل له: نم نوم العروس، قرير العين)[٢٤].

٣- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (ما من مؤمن يموت في بقعه من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن)[٢٥].

٤- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها يقولون:
ربنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأولنا)[٢٦].

٥- وعن أبي عبد الله عليه السلام: (شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضر موت يرده هام الكفار)[٢٧].

٦- وروي عنه عليه السلام أيضاً: (شر بئر في النار برهوت الذي فيه أرواح الكفار)[٢٨].

٧- وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن من وراء اليمن وادياً يقال له: وادي برهوت، ولا يجاوز ذلك الوادي إلا الحيات السود والبوم من الطير، في ذلك الوادي بئر يقال لها: برهوت يُغدى ويراح فيها بأرواح المشركين، يسقون فيها من ماء الصديد)[٢٩].

٨- وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الأرواح في صفة الأجساد في شجر من الجنة تعارف وتساءل، فإذا قدمت الروح تقول: دعوها فإنها أقبلت من هول عظيم، ثم يسألونا ما فعل فلان؟ قالت لهم تركته حياً ارتجوه، وإن قالت لهم قد هلك قالوا قد هوى هوى)[٣٠].

٩- وعن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إن لله جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج منها، وغليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعم فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيها بين الأرض والسماء، تطير ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس، وتتلاقى

في الهواء وتتعارف، قال: إن له ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلعت الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له: برهوت أشد حراً من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة)[٣١].

وهذه الأخبار وأمثالها مما تدل أيضاً على عدم فناء الأرواح بل على بقائها في أجساد مثالية منعمة أو معذبة أو ملهي عنها.

قال (الصدوق) في الاعتقادات: اعتقادنا في النفوس أنها هي الأرواح التي تقوم بها الحياة، وأنها الخلق الأول، لقول النبي صلى الله عليه وآله: (إن أول ما أبدع الله سبحانه هي النفوس المقدسة المطهرة فأنطقها بتوحيده، ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه). واعتقادنا فيها أنها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبي صلى الله عليه وآله: (ما خلقتم للفناء بل خُلقتم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار) وأنها في الأرض غريبة، وفي الأبدان مسجونة. واعتقادنا فيها أنها إذا فارقت الأبدان فهي باقية.. منها منعمة، ومنها معذبة، إلى أن يردها الله عز وجل بقدرته إلى أبدانها.

ما ينفع الميت في قبره

الأعمال الصالحة التي عملها الإنسان قبل موته تفيده في عالم البرزخ، كما أنها تنفعه في الآخرة، وكذلك الأعمال الصالحة التي يؤتى بها نيابة عن الميت. وتوجد بعض الأعمال الصالحة التي يستمر ثوابها وأجرها لمن عملها حتى بعد وفاة صاحبها، مما تنفعه وهو في القبر، وتزيد من رصيد حسناته يوم الحساب. والأخبار في ذلك كثيرة.. ومنها:

١- مر النبي صلى الله عليه وآله بقبر دفن فيه بالأمس إنسان وأهله يبكون، فقال: (لركعتان خفيفتان مما تحتقرون أحب إلى صاحب هذا القبر من دنياكم كلها).

٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب، فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل أبنه).

٣- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مطل عليه، ويتنحى الصبر ناحية، قال: فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه).

٤- وعنه عليه السلام أيضاً قال: (إذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له: يا هذا كنا ثلاثة، كان رزقك فانقطع

بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أما إني كنت أهون الثلاثة عليك).

٥- وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: (ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سُنّة هدى بها، سنها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، أو ولد صالح يستغفر له).

٦- وقال عليه السلام أيضاً: (ست خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحفٌ يقرأ فيه، وقليب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده).

٧- وقال عليه السلام: (ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، و سنة هدى سنها فهي تعمل بعد موته، ولد صالح يستغفر له).

٨- وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء يلحق لرجل بعد موته؟ قال: (يلحقه الحج عنه، والصدقة عنه، والصوم عنه).

من مات في ليلة الجمعة أو يومها

١- روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من مات يوم الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر).

٢- وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (من مات ليلة الجمعة كتب الله له البراءة من عذاب النار، ومن مات يوم الجمعة اعتق من النار.

٣- وقال أبو جعفر عليه السلام بلغني أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر)■

---

(١) سورة المؤمنون/ الآية:١٠٠.
(٢) لسان العرب، ج٣، ص٨.
(٣) الكافي : ٢٤٢/٣.
(٤) سورة الرحمن/ الآية:٢٠.
(٥) سورة الفرقان/ الآية:٥٣.
(٦) سورة المؤمنون/ الآية:١٠٠.
(٧) الآية السابقة.
(٨) ميزان الحكمة، ج١، ص٤٠٤، رقم الحديث١٦٨١.
(٩) المصدر السابق، رقم الحديث ١٦٨٣
(١٠) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٨٤.
(١١) سورة مريم/ الآية:٦١-٦٢.
(١٢) تسلية الفؤاد، ص١١٦.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) سورة غافر/ الآية:٤٦.
(١٥) تسلية الفؤاد، ص١١٧.
(١٦) المصدر السابق.
(١٧) سورة غافر/ الآية:٤٦ .
(١٨) البحار ج٦، ص ٢٣٧، رقم الحديث ٥٥.
(١٩) المصدر السابق، ج٦، ص ٢١٦، رقم الحديث ٨.
(٢٠) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٠٥، رقم الحديث ١٦٨٧.
(٢١) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٨٦.
(٢٢) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦، رقم الحديث ١٦٨٨.
(٢٣) البحار،ج٦، ص ٢٣٤،رقم الحديث ٤٩.
(٢٤) المصدر السابق، ص٢٦٢، رقم الحديث١٠٥.
(٢٥) تسلية الفؤاد، ص١١٨.
(٢٦) البحار، ج٦، ص٢٧٠، رقم الحديث ١٢٧.
(٢٧) المصدر السابق، ص٢٨٩، رقم الحديث١٢.
(٢٨) المصدر السابق، ص٢٨٩، رقم الحديث١١.
(٢٩) تسلية الفؤاد، ص١١٨.
(٣٠) البحار، ج٦، ص٢٩١، رقم الحديث ١٥.
(٣١) تسلية الفؤاد، ص١٢١.

التتمة في العدد القادم

افتتاح الثناء.. افتتاح الثورة

قراءة أولى في دعاء الافتتاح

• علي مجيد داود

ينابيع هذه القراءة (محاولة) فهم واستنطاق، لعلها تفلح في ملامسة سطح النص الدعائي وتشهد (افتتاحاً) من (افتتحاته) ما يخفف من ألم الكبوة وخطأ القراءة - إن شاء الله - إن هذه الصفحات (مقترحة) يمكن قبولها بقليل من الرضا وكثير من إقالة الزلل.

في معنى القراءة

نحن في مسألة قراءة (النص الدعائي) وادراك تجلياته لا نقف إزاء طرفين مستقلين تمام الاستقلال: مرسل (النص)، مستقبل (القارئ).

إن صفة النص هنا صفة خاصة جداً تقف خلفها منظومة مرجعيات هائلة، متشابكة، متماهية، عصية على التجاهل أو محاولة فك أطرافها: لأن هذه المرجعية لا تقف عند حدود ما هو ظاهر وممكن بصورة شائعة ومطلقة، لا يستطيع أي قارئ ومن أي نمط أن يصل إليها.

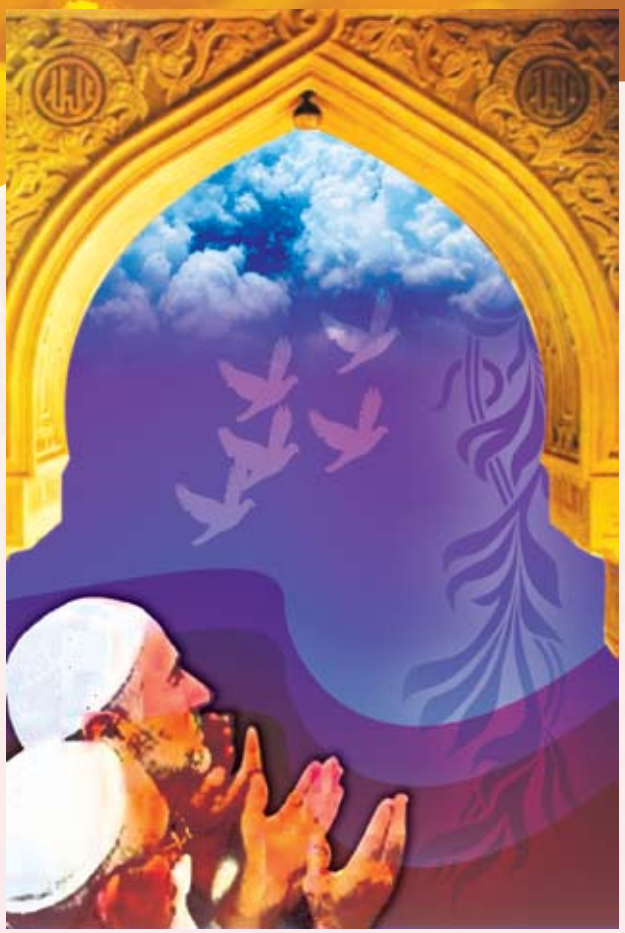

لهذه المرجعية مستوى غيبي أو درجة معينة ضمن مستويات ودرجات عديدة، فبالنسبة للمستقبل (قارئ) فإن مكوناته المعرفية لا تخلو من مستوى أيضاً، فخبرته لا تقوم على أساس التجربة والحس فقط ـ كما تفهم النظرة العلمانية ذلك ـ لأن هاتين الوسيلتين لا تسعفان العقل بأجوبة كافية أمام تساؤلات كثيرة تبقى معلقة دون صياغة مفهوم واضح إزائها، لذا فإن للفيض الغيبي من المعرفة دوراً في هذه الإجابة وسد هذا النقص.

لما وراء الغيبي وجود فاعل وكبير في عملية القراءة هذه مثلها مثل سائر الفعاليات الإنسانية الأخرى، وهو أمر مشروط أيضاً وحضور مقيد، فدخول الفيض الغيبي طرفاً ثالثاً في عملية قراءة النص الدعائي مرهون بعدة الداعي التي هي ثقافته ووعيه، ودرجة إقباله على الله وانقطاعه إليه وإخلاصه له في عمله، في مثل هذه الحالة لا يمكن تماماً إقصاء هذا الفيض وتجاهله إلا في حالة بقاء القارئ عند السطح مصاباً بفقر في عدته.

من هنا كان (العرفان) أجلى وأقدس حالات الإتصال بالأشياء وفهمها. وقد عبر القرآن الكريم عن قمة هذه الإفاضة الربانية بالحكمة،

طروحات عامة

قال تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب) (سورة البقرة: ٢٦٩).

وأعلى مراتب هذه الحكمة: (العرفان) يقول السيد السبزواري قدس سره عن هذه المرتبة أنها (خاصة محجوبة عن البصائر والأفكار لا تليق إلا لمن يقدر على تحمل الأسرار) وهي (ليست منحصرة بالبحث والنظر فقد تحصل للنفوس المستمدة من إفاضات الباري).

هنا نتأدى إلى:

- أن في النص الدعائي مستوى غيبياً قائماً بشكل دائم، وهو ما يجعل من ذخيرة النص متوالدة لا تفنى إلى ما يشاء الله، هو ناطق لا يسكت، وسيكون من المجمدات التي تشهد بصدق المستقبل وإخلاصه يوم القيامة أي أنه سيمارس دوراً تقييمياً وسيدخل في إطار الناطقين الذين يرفعون هويتهم (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) (سورة السجدة: ٢١) وهكذا يكون النص الدعائي دون انقطاع.

- عدة الداعي (قدرته على استنطاق النص) ذات طبيعة مركبة تختلف درجة تركيبها تبعاً لوعي الداعي وثقافته وإيمانه، وتبعاً لذلك يتباين مستوى قراءة الدعاء، إذ تقف القراءة الفقيرة عند السطح دون أن تتجاوزه إلى حالة الاندماج والكشف، وقد يكون الالتقاء محصوراً بمضامين النص الدعائي الأخلاقية دون مستويات أخرى، وربما يكون الفعل في الحالة هذه منحصراً في متابعة ظاهر اللفظة دون لمس مفتاح التوهج وبلغ حالة الاتصال الكبرى.

تتجاوز القراءة الحقيقية أفق النص المحدد في كلماته إلى الفضاء المتسع في دلالاته والذي يجعل من الداعي كتلة حركية نشطة تتمثل مضامين الدعاء بشكل فائق ورائع وهنا يرى الفيلسوف العربي ابن سينا أن للعقل قوتين (أحداهما معدة نحو العمل، ووجهها إلى البدن، وبها يميز بين ما ينبغي أن يفعل وبين ما لا ينبغي أن يفعل ويحسن ويقبح من الأمور الجزئية ويقال له العقل العملي، ويستكمل في الناس بالتجارب والعادات، والثانية قوة معدة نحو النظر والعقل الخاص بالنفس، ووجهها إلى فوق، وبها ينال الفيض الإلهي). ومع موافقة ذلك لا ننفي الجانب الغيبي وإمكانية وجوده في القارئ دون بحث وتفكير - كما يرى السيد السبزواري قدس سره - إذ أن هذه حالة مثلى ودرجة راقية.

إذن، القراءة الحقيقية لا تنتهي كذلك طالما استمرت تجليات النص

الدعائي في السلوك الفعلي للقارئ الداعي، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل عنه) نعم، دروس الدعاء وتعاليمه هي القراءة السلوكية العملية التي تنفتح على آفاق رحبة.

- لا يمكن عد الفيض الرباني جزءاً رافداً متماهياً مع مرجعيات العقل الأخرى في حالة (العرفان)، دون أن يكون متميزاً أو يحمل استقلاله الفريد لأن الهالة القدسية التي تحيط هذا الفيض تبقيه في إطاره الغيبي الذي لا يعرف كنهه ولا يستطاع التعبير عنه إلا بكون أرقى درجات الحكمة والمعرفة.

ولخصوصيته تلك فهو يفترق عن باقي الإخبارات الغيبية والإجابات الإلهية المقدسة عن الكثير من الأسئلة والتي تكون المعرفة التي تسد النقص في بنية العقل.

الحقيقة أنه لا يمكن على الإطلاق التحدث عن ذلك دون تجربة فعلية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وهذا ما افتقر إليه واقعاً.

يتأكد من هذا: أن في النص الدعائي مستوى غيبياً قائماً وأن في القارئ إمكانية وجود مستوى غيبي أيضاً عملية القراءة تأخذ الشكل التالي:

الفيض الغيبي
دعاء الافتتاح: خصوصية النص

ظاهراً يمكن أن نرتب باعث هذه الخصوصية تحت مستويين: خارجي يقع حول ساحة الدعاء، وداخلي يأخذ مكانه في نص الدعاء ذاته.

في المستوى الأول نقرأ أن نص الدعاء مروي عن الإمام المهدي القائم (عجل الله فرجه) ويستحب قراءته عند كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، منشئ الدعاء إمام معصوم، وقائد منتظر مؤمل ظهوره للتغيير والإصلاح، وتشير بعض النصوص إلى أن النداء يأتي من السماء باسمه في شهر رمضان كإحدى علامات اقتراب ظهوره... هذا إضافة إلى عظم فضيلة شهر الصيام كدورة تهذيبية للنفوس وتدريبية وتنظيمية للطاقات المؤمنة على صعيدي الجهاد: الأكبر والأصغر، غير أن هذه الصورة التي تشكل المستوى الخارجي لخصوصية تحتم علينا ربطها بصورة المستوى الداخلي، كي نستبق بالتوضيح سؤالاً من مثل: وماذا يكون في ذلك إزاء نصوص (المهدية) الأخرى، أو غيرها من الأدعية المستحب قراءتها في أيام شهر رمضان؟

يشترك نص الدعاء بأدعية أخرى في سمات معينة دون أن يلغي هذا الاشتراك صفة الخصوصية والتميز عنه، من هذه السمات المشتركة مثلاً حرصه على المزاوجة بين الثناء على المولى تبارك وتعالى والطلب منه والاستعانة به في إصلاح الأمور الفاسدة والأحوال الفاسدة، بل أن هذه المزاوجة والحرص على التراتب بين

طروحات عامة

المرحلتين هي من أدب الدعاء وشعائره الضرورية في ساحة قدس الله تعالى.

لعل التميز الأعظم لنص (الافتتاح) يكمن في قوة ارتباط هذا النص بمنشئه عليه السلام ارتباطاً يرقى إلى الوحدات العصية على الانفكاك أو الانشطار، حتى أن تقسيمنا لباعث خصوصية الدعاء إلى قسمين في مفتتح الحديث احتاط بالقول ـ ظاهراً ـ إذ تمتلك هذه الوحدة قدرة كبيرة جداً على التنامي والتوالد والانفتاح على آفاق رحبة، وسيكون القارئ الداعي ذاته مندرجاً أيضاً كأفق مفتوح من هذه الآفاق.

ميزة الدعاء أنه يتجه عن قصد بليغ إلى مؤمن مستضعف مدفوعاً من قبل قائد ناصر منتظر... ومن هذا المشهد يمكن أن تنثال العواطف المتجانسة بين المرسل والمستقبل، ليست دوافع ذلك خارجية بحته كما أنه ليست داخلية صرف أيضاً، أنها مزيج متماسك من الاثنين تضع الداعي منذ الوهلة الأولى في نواة الدعاء مهيأ ومعداً بشكل متكامل للتفاعل مع ذخيرة النص وعدته.

القراءة

١ـ لغرض قراءة متأنية، يمكن تقسيم هيئة نص الدعاء الخارجية إلى قسمين كبيرين

القسم الأول: يتضمن المزاوجة بين الثناء والتمجيد وبين الطلب من الله تعالى الإقالة من الذنوب والعثرات، ويبدأ هذا القسم من المفتتح وحتى (... وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير).

القسم الثاني: يبدأ بالصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أسمائهم المقدسة ثم الدعاء للقائم (عجل الله فرجه) والانتهاء بالشكاية إلى الله تعالى من ألم فقد النبي صلى الله عليه وآله وكثرة العدو وقلة العدد ثم طلب الفرج والنصر وهي نهاية الدعاء.

وإذا أعدنا النظر في هيئة الدعاء نجد أن حضور القسم الثاني من الدعاء ممهد له في نهاية القسم الأول حيث يتركز التمجيد في ذكر قوة المولى تبارك وتعالى وجبروته وشدة نكايته بالظالمين ثم الثناء على هدايته وتدبيره أمور الخلق، فيكون بذلك محمد وآله صلى الله عليه وآله أقدس وأكبر مصداق لهذه الهداية والتدبير والاستخلاف.

بذلك ليس هناك فاصل واضح جداً بين القسمين، فبنية نص الدعاء بنية متماسكة تحث قارئ البداية إلى المضي باتجاه النهاية عبر انتقالات تراتبية عميقة الدلالة.

إن ذخيرة الدعاء الهائلة تبدأ باشتعال فتيل الثورة على النفس لتنتهي بالانفجار

الكبير بوجه المستكبرين والظالمين.

٢- أول موجه لقراءتنا إضافة إلى شخص منشئ الدعاء عليه السلام، وزمان قراءته (ليالي شهر رمضان) هو عنوانه، وبصرف النظر عن من ومتى وأين تم وضع العنوان، وهل هو توقيفي من المعصوم أو هو من قبل الرواة أو العلماء الذين أوصلوا إلينا نص الدعاء معتمدين في ذلك أول جملة في (اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك)، بعيداً عن هذا يمتلك العنوان دوراً استباقياً لمفردات الدعاء، متشكلاً - بمعية الشخص المنشئ وزمان القراءة - عبر تاريخ طويل يرتبط بذاكرة الداعي من أول وجود النص إلى قراءته الآن أو في المستقبل، ومضمون هذا الدور لا ينفك عن الملازمين: القائد المنتظر - والشهر المبارك... إنه ثوري تغييري.

تمد لفظة (فتح) أذرعها، لنقرأ في المعاجم مفردات عديدة تنضوي تحتها كمادة لغوية منها:

- الفتح/ الماء الجاري في الأنهار.
- الفتح/ النصر، ومنه (الفتوحات).
- استفتح/ طلب الفتح.
- الفتح/ الباب الواسع المفتوح، والقارورة الواسعة المفتوحة.
- المفتاح/ آلة لفتح الأبواب.
- الفُتاح والفِتاح والفُتوح الفتوحة/ الحكومة... وغيرها.

جميع الألفاظ لا تخلو من دلالة الحركة والانفراج، وليس الجمود والانغلاق، الانفتاح حركة تتجه نحو غاية معينة، تقف خلف هذه الحركة نفس راضية ورغبة طيبة، ومن هنا يبدأ الدعاء:

(اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك).

وفياً مخلصاً، معترفاً بأنعم المولى جل وعلا، الحمد مفتتح وخاتمة دعاء أهل الجنة (حيث منتهى رضوان الله)، وكان أول دعاء أهل الأرض في شهر رمضان هو الحمد، وكأن هذا يذكر بذاك... كما أن الحمد لله مفتتح القرآن الكريم.

وخلاصة النصوص المقدسة الواردة عن المعصومين عليهم السلام تصف الحمد بأنه (قيد النعم)، ومن هنا يكون افتتاح دعاء الافتتاح فعلاً حكيماً، هو تقييد النعم كي لا تزول وتأسيس الرابط القوي لله تعالى ثم الانطلاق، قاعدة الشروع مضبوطة بحبل متين.

في الخبر أن الله تبارك وتعالى أوضح حقيقة الشكر لنبيه موسى عليه السلام فقال: (إذا عرفت أن النعم مني، رضيت عنك بذلك شكراً)، إذن وعي الداعي مكتمل هنا لأنه يبدأ بالحمد والاعتراف بقصوره عن بلوغ هذه الحالة دون توفيق الله ومنه وتسديده أنه يقول:

(وأنت مسدد للصواب بمنك).

وحين تتظافر النصوص المقدسة في كشف العمق الدلالي للحمد لاحتوائه على معنى طلب المزيد من الله تعالى يتأكد معنى الانشراح والانفراج الذي ينفتح عليه نص الدعاء، وهكذا علاقات الجمل بعضها ببعض... تنزلق الأولى على الثانية حتى النهاية...

إن التأمل والفهم لهذا الاستهلال يولد اندماجاً نفسياً ابتدائياً، سرعان ما يطلب تطوراً، ويدفع النفس إلى ارتقابه ونموه، وحالة الترقب هذه تمنح الداعي فرصة يشكل فيها منظومة هائلة من التوهجات مرهونة بإدارك دلالات الألفاظ وتأملها، حيث لا يبقى المعنى النمطي المقيد مجال أما قوة التوهج، وما ينتج عن حركية هذا التفاعل هو إعادة صياغة الذات وفق معطيات الخطاب الدعائي المقدس ودروسه، وهذا المستوى من العلاقة هو أشرف المستويات التي تكون غايات الدعاء وأهدافه، فما لم تحدث حالة التجاذب هذه والذوبان في فضاء الدعاء لن تتحقق حالة الوحدة ودرجة الفهم المرادة.

الدخول السليم إلى فضاء الدعاء واجتياز عتبة المفتتح بنجاح تتيح للداعي قراءة إشراقية تعبر النمطية والسطحية لتصل إلى اليقين الحقيقي بالذات الإلهية المقدسة: أرحم الراحمين، أشد المعاقبين، أعظم المتجبرين.

هذا التهيؤ اليقيني يؤسس انفتاحه الجديد ودرجته الجديدة في مقام الدعاء، لتتحقق المناجاة والتي لا تفارق الإشراق ولا تركن إلى النمط المحدد من الدلالة الإيحاء.

إن الله تبارك وتعالى يسمع ويجيب ويقيل العثرة ويفرج الكربة ويكشفها، وينشر رحمته ويفك حلق البلاء، ونص الدعاء يحرص على النداء لهذه المعاني، وهو حينما يطلب لا يترك التمجيد والتعظيم لله.

يواظب النص الدعائي على استشعار الأزمة الدنيوية المعاشة من قبل الداعي، غياب الدولة الإلهية، عليه أن يكون منفعلاً كي يترسخ صدق النداء وحرارته، إنه عمل تعبوي حقيقي.

واضح جداً أصل الدعاء في نظرته الكلية لأمور وحالات الإنسان فهو يريدنا أن ندرك ضرورة التراتب والتدرج في العمل التغيري وصولاً إلى تحقيق الفعل في ساحة الممارسة.

لا يتم تأسيس قاعدة الانطلاق دون الآفاق العلوية بالحمد والثناء والإمساك بخيوط النور السماوية، كي يتوفر الإمداد الذي يلهم معنى المسؤولية الجماعية، والوعي بذلك هو الدرس الأعظم في قاعدة الانطلاق هذه.

٣- ندخل منطقة القسم الثاني من

الدعاء بمعدات روحية فائقة، ذخيرة الداعي من القسم الأول ضخمة وكافية بفاعلية الاستمرار والوصول إلى مشارف افتتاح ثورة أخرى.

كما أشرنا سابقاً يمهد الدعاء في أواخر اسمه الأول المقترح في الدخول إلى منطقته الجديدة... نقرأ:

(الحمد لله الذي يؤمن الخائفين وينجي الصادقين ويرفع المستضعفين ويضع المستكبرين ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين والحمد لله قاصم الجبارين مبير الظلمة مدرك الهاربين نكال الظالمين صريخ المستصرخين موضع حاجات الطالبين معتمد المؤمنين).

هنا... إقرار الفضل لله في تنظيم الاجتماع الإنساني وفق مشيئته سبحانه، وعبر وسائط تحقيق هذه المشيئة فعلاً، وهو أمر - في ظاهره - لا ينقل الدعاء عن مستوى الثناء والتمجيد، إلا أن طبيعة النعم والمفردات التي يقع عليه الفعل الإلهي تشعر بالانتقالية المقصودة.

تهديم الألفاظ (المستكبرين، الملوك المغتصبين، الجبارين، الظلمة، الهاربين الظالمين) عبر أفعال المشيئة الإلهية: (الوضع، الهلاك، القصم، البور، الإدراك، التنكيل) يشيع مناخاً خاصاً جداً يحتوي صلب النظام الأرضي أو الكوني لأن عدالة الله قائمة لا تتغير، إن تهديم هذه الشواخص يشير إلى وجودها الدخيل على هذا النظام الإلهي. ولسان النص الدعائي يؤكد ذلك ويحث القارئ الداعي على الالتفات إليه. وفي بعد دلالي آخر فإن أفعال المشيئة الإلهية تقنع المستضعف بحتمية وقوع ما لم يقع وإمكانية تحققه في أي وقت يكون فيه هذا الصادق المستضعف المؤمن مهيئاً صالحاً لذلك (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (سورة الرعد: ١١).

هذه هي حاكمية الله تبارك وتعالى، سلطته في نظام الحياة والتي منها يستمد العون في تطبيق الشريعة المقدسة في الأرض، وجلي هو الحرص الشديد على الربط بين المفاهيم والأحداث وإناطة بعضها ببعض طالما كان النظام المنشود نظاماً عاماً قائماً على التوحيد، والارتباط بين الأجزاء، وهذا لا يتم دون رابط يقوم بهذا الدور كواسطة فاعلة، وظيفته التوزيع والتدبير إلى جانب مهمته الرئيسية (الربط)، وهو (السنة الكونية) التي لو انعدمت لما كان هناك وجود تأثيري فاعل في الأشياء والقوة، إن الله تعالى يدبر أمر الخليقة عبر هذا الوسيط المستخلف الذي ينفذ أمر الله ويقيم شريعته.

إنه الإرادة الإلهية التنفيذية، الضرورة اللازمة فـ(لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها) ولهذا كان النبي والوصي.

إن وصول الدعاء إلى الصلوات والتسليم على النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين يقترحه الترتيب أو التنظيم والتدرج المقصود لمراحل نص الدعاء، وهكذا يأتي (انفتاح جديد يتجه نحو الحجة في الأرض).

طروحات عامة

الحجة قائد يقود التوجه إلى الله، ويطرح نفسه مثالاً نموذجياً وقدوة فريدة في تطبيق الشريعة والعمل والسعي إلى خير المجتمع الإنساني وبسط حاكمية الله على أرضه، هو المدد الفكري الإلهي والطاقة العملية المتحركة ومخاطبة الحجة والسلام عليه وتسليم له واعتراف وإقرار وبيعة تتجدد، يقف البعض من فكرة النموذج موقفاً سلبياً رافضاً بحجة أنه تقنين للشخصية وقيد يحجم حركتها، ونظرة كهذه تبعد بشكل قسري طبيعة النموذج السماوي عن نطاق تفكيرها.

وهذا الأخير لا يقف مطلقاً أما الإبداع والإنجاز الحقيقي الجاد والمسؤول والساعي إلى خير الدنيا، وهو لا يعطل وثبة المؤمن بل يمنحه فهماً متجدداً حينما يستحضره قدوة وقيادة، يأخذ موقفه ورؤياه عبر عينه المعاصرة.

فحركة النموذج المتداخلة والمتعاقبة مستمرة لا يقيدها زمان أو مكان. غاية ما في مثل هذا الموقف الرافض أنه مخفق في مرحلة قراءة المفاهيم وتحديدها، وتحليل مركب منها قبل الوصول إلى الحكم ومرحلة الكشف عنه وإعلانه.

نعم... خطوة الدعاء هنا متسقة في فضاء النص، وهذا الاتساق مرآة لآخر مثله لا يكون إلا بخطوة كهذه التي في الدعاء: محمد وآله صلوات الله عليهم في عرصات القيام، مشارف القسم الثاني من النص تشبه مشارف الأعراف في قوله تعالى: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم)، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يعرفنا الله تعالى يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، إن الله تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه، صراطه وسبيله، والوجه الذي يتوفى منه فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم على الصراط لناكبون، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاد لها ولا انقطاع).

التجلي مستمر، والقراءة للمنشئ المعصوم ولنصه تبقى ناقصة دائماً تحتاج إلى تتميم، وستكون الصلة بين القائد والمقود دائماً في وحدة متلائمة وتاريخ ممتد رغم محدودية الاعمار وتوالي الأجيال.

غياب القائد الجسدي لا يحول

دون استحضاره، بمعنى أعم وأشمل وأكثر جلاءً، وهذا الاستحضار بعض من توهج الدعاء، وكذلك تكون أيضاً دلالات النص الدعائي الأخرى، فالنظر إلى تجليات الدعاء بصفته قيمة فكرية لها مجال تاريخي محدد أو رسالة أخلاقية بحته تتوجه إلى الآخر أولاً وتخاطبه وتحثه على رفع يديه إلى السماء، أمر كهذا يصادر حقيقة النص الإلهي ويضع الإنسان في نمط يكون فيه مستقبلاً بشكل يقرب من الحالة السلبية التي تصل إلى الانفعال والفعل الحقيقيين، لا زمنية النص ودعوته لا تلغي ضرورة استيعاب حركة التجارب والمراحل السابقة بل توجبها كخطوة فاعلة للنهوض المتمثل للشروط الثورية الحقة.

يصل (الافتتاح) ذروته بالدعاء للقائم المنتظر(عج) بالظهور والنصرة والتأييد والقيام بالمهمة الكبرى في تحقيق الإسلام العالمي فعلاً، ووصول الدعاء بهذه الدرجة أشبه بالإنزلاق الذي لا يواجهه صعوبة أو عائقاً ما، فالاستيعاب لتاريخية الأمة بشكله السابق ممكن فعلاً للداعي المستقبل ولذلك كان الخطاب متوجهاً إليه بصدق وقصدية، ولكن الدرجة المثالية في هذا الاستيعاب والتي لا تستمد قوامها من المعرفة العقلية فحسب بل من الوحي كذلك، من الغيب الإلهي والفيض السماوي الهائل لا يتأتى ظهورها إلا في شخص الإمام القائد المنتظر (عجل الله فرجه) وهذا ما يمنحه وضعاً نفسياً متسامياً ومتفوقاً، ينظر القائد من خلاله إلى الكيانات السياسية القائمة ويلمس ضالتها ومواضع ضعفها ومفاتيح انهيارها[٩].

إذن: الاتصال بنص الدعاء، واتصال بمنشئه القائد المنتظر، اتصال بالمولى جل وعلا، إن ذخيرة النص الدعائي الضخمة تعبئ القارئ بعقل منفتح ثابت وثاب وجريء، ينظر إلى قيادته بولاء وخضوع، ويستمد منها قوام الذات وعدة الثورة.

افتتاح الدعاء بالثناء والتمجيد لله تبارك وتعالى يصل إلى طلب افتتاح الدولة الموعودة وبشكل لا يلغي مشاركة الداعي وإضافته واجتهاده، مادام قد تزود بقدرة المراجعة والتحليل والبحث والاستجابة والفعل فهو مهيأ لأن يطلب من المولى تبارك اسمه بثقة المؤمن الشاهقة أن يجعله من الدعاة إلى طاعته تعالى والقادة إلى سبيله في هذه الدولة الموعودة، وينبغي عليه أن يجعل عمله موازياً لعمل الإمام الغائب الحاضر عبر جدية في الانتظار والارتباط العملي بالإمام... وعي المستقبل يدرك فقد النبي صلى الله عليه وآله ويتألم، وهو فقد الإمام المهدي عليه السلام، فقد الدولة الإلهية، وعبر هذا الإدراك ينفتح على ساحة الفعل، فبانتظاره الحقيقي يشخص الساعين لقطع مشيمة الثورة، يحيط آليات التجسس والوشاية الكافرة بدائرة اهتمامه، وهو مهيأ لافتتاح الثورة كما هو مهيأ دائماً لأن يفتتح أفعاله وأقواله بحمد الله تعالى شأنه والثناء عليه ■

فشل محاولات بني إسرائيل في تغيير أحداث التاريخ

• سعد حاتم مرزه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ينابيع لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (سورة المائدة:٧٨).

إسرائيل، نبي الله يعقوب عليه السلام، من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القران الكريم فشرفه الله تعالى بحمل الأمانة وامتحنه فوجده صابراً على البلاء، فأعاد إليه بصره بعدما ذهب نتيجة فراق ابنه يوسف عليه السلام، ولكن كان من ذريته الظالمون والكافرون ومنهم من قتل الأنبياء، كما فيهم المؤمنون المخلصون، فقد أشارت أربع آيات من القرآن الكريم أنهم كانوا يقتلون الأنبياء وقد افتخروا بذلك إحداها:

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (سورة النساء:١٥٥).

اطلع بنو إسرائيل من خلال بعض أنبيائهم والأحلام على بعض ما قضاه الله تعالى عليهم من أحداث وبلايا، فحاولوا تغيير ذلك بمعصية الخالق

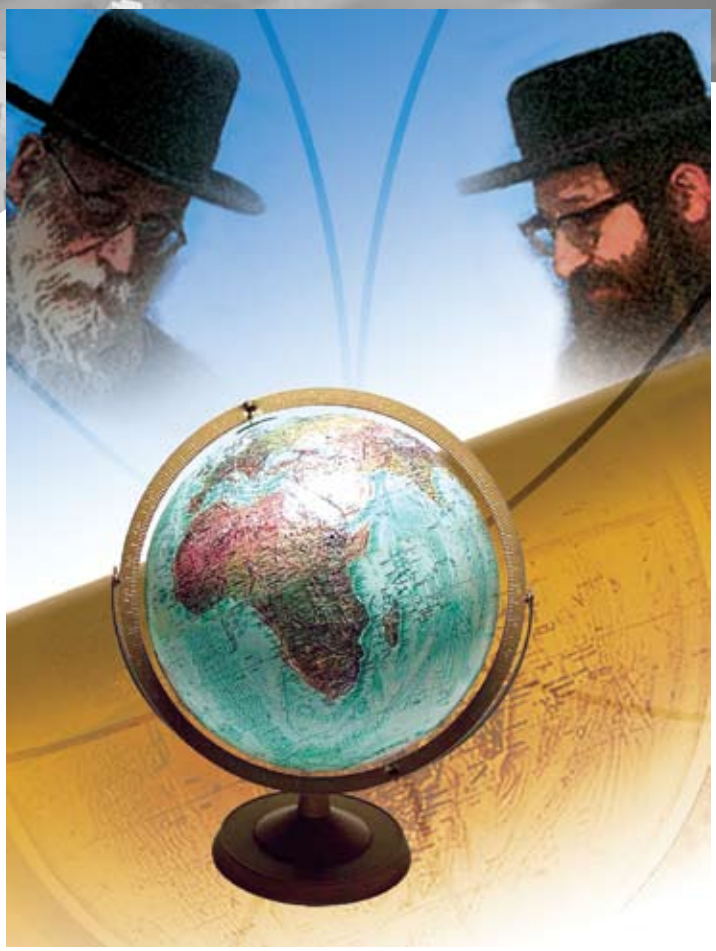

والالتجاء إلى عمل الآثام ظناً منهم أنهم قادرون على تغيير ما قضاه الله عز وجل عليهم بمثل هذه الأعمال السيئة، فباءت كل محاولاتهم بالفشل.

كانت أول محاولة لهم ما قصه القران الكريم في سورة يوسف، وهي محاولة الجيل الأول للنبي يعقوب عليه السلام من قتل أخيهم يوسف عليه السلام بالرغم من تحذير أبيهم لهم، فلما أجمعوا على ذلك أقترح أحدهم القاءه في قعر البئر، فتم ذلك، وكان الهدف واضحاً:

إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ (سورة يوسف:٨).

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (سورة يوسف:٩).

ولكن الذي هدفوا إليه لم يتحقق، فبقى أبوهم يعقوب عليه السلام على حبه ليوسف وتفضيله عليهم فحزن على فراقه وهو يعلم، بعلم من الله تعالى، أنه ما زال حياً يرزق وأنه لابد من تحقق مضمون الحلم الذي رآه يوسف عليه السلام، حتى أبيضت عيناه من الحزن:

وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ (سورة يوسف:٨٤).

فكانت إرادة الله تعالى هي النافذة

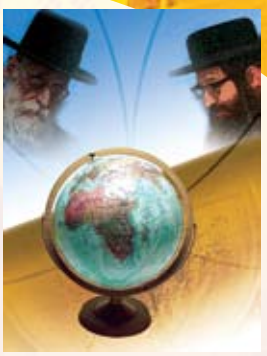

ولا راد لقضائه، فجعل يوسف عليه السلام يتبوأ منصباً مهماً في مصر فذهب إليه أخوته مع والديهم فسجدوا ليوسف شكراً لله تعالى على إعادة جمعهم بعدما فرق الشيطان بين يوسف عليه السلام وأخوته.

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (سورة يوسف:١٠٠).

هكذا فشلت أول محاولة لبني إسرائيل في تغيير أحداث التاريخ بعدما أطلعوا على فضل أخيهم يوسف وأنهم سوف يعظمونه رغم أنه أصغرهم سناً.

وكان من سوء الأقدار قيام أحد ملوكهم بقتل النبي يحيى عليه السلام تلبية لبغي من بغاياهم، فرضا بنو إسرائيل بذلك ولم يأسف أحد منهم على قتل أحد الأنبياء، فعمهم الله عز وجل بالانتقام على رضائهم بالقتل، كما عم قوم صالح بالانتقام والإبادة على رضائهم بعقر الناقة، لذا فإن الله عز وجل يعذب كل من يرضى بالآثام، خصوصاً القتل المتعمد للمؤمنين، ويعدّه شريكاً في الإثم وجريمة القتل، وبناء عليه أوحى إلى أحد أنبيائهم بأنه تعالى سينتقم منهم بأن يسلط عباداً له ليقتلوا (٧٠) ألفاً من بني إسرائيل ويخرب عاصمتهم ويدمر بيت المقدس.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً (سورة الإسراء:٥).

وأراد الله عز وجل لنبيهم وهو دانيال عليه السلام أن لا يشمله الانتقام لأنه لم يرض بما فعله الملك ولكنه لا يملك السلطة على الملك وعلى بني إسرائيل، فدعا الله أن يدله على الذي يقود حملة الانتقام على بني إسرائيل ليحصل منه على عهد مكتوب منه بعدم شموله بالقتل، فذهب إليه، وهو لم يتول السلطة بعد فحصل على العهد، وفي الحملة العسكرية نجا دانيال عليه السلام من القتل، وهكذا قتل (بختنصر) من بابل (٧٠) ألفاً من بني إسرائيل كما وعد الله.

ولكن بنو إسرائيل بما عهدوه من كذب وقتل الأبرياء ومحاولتهم تغيير ما قضاه الله تعالى عليهم، فجعلوا نبيهم دانيال عليه السلام عندما ذهب إلى بابل لمقابلة بختنصر، إنما أراد قتل بختنصر ولكن جبرائيل عليه السلام منعه من ذلك لذا اتخذوا جبرائيل عليه السلام عدواً لهم:

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (سورة البقرة:٩٧).

ففي (الاحتجاج) وكتب أخرى، احتج النبيﷺ على ابن صوريا (اليهودي) في سبب عداوتهم لجبريلعليه السلام الذي اتخذ من ذلك سبباً لعدم إيمانه برسالة الرسولﷺ مدعياً بأنه لو كان ميكائيل هو الذي أنزل القران على محمدﷺ لآمن به وبرسالته، وكان سلمان حاضراً فسأله عن سبب عداوتهم لجبرئيلعليه السلام، فزعم ابن صوريا بأن جبرائيلعليه السلام منع نبيهم الذي أرسلوه إلى بابل لقتل بختنصر من قتله، فأصبح بختنصر ملكاً على بابل وهجم عليهم فقتل الكثير منهم وخرب عاصمتهم ودمر بيت المقدس وأسر الآخرين، وأنهم أرسلوه لقتل بختنصر بعدما أخبرهم أحد الأنبياء بذلك، فأرادوا أن لا يكون ذلك فسخر سلمان منه بمحاولتهم تغيير إرادة الله تعالى وقضائه النافذ بمثل هذه الآثام، ولا يجوز إيقاع العقوبة إلا بعد وقوع الجريمة، فكيف لنبي من أنبياء الله تعالى أن يقتل بريئاً بحجة وقوع بلاء قضاه الله عليهم حتماً.

هكذا كذب ابن صوريا وبنو إسرائيل على نبيهم وفشلوا مرة أخرى في تغيير ما قضاه الله عليهم حسب زعمهم، فهل استفادوا من ذلك في إيقاف أعمالهم الإجرامية ضد الآخرين؟

بعد ولادة الرسول الأكرمﷺ، قام اليهود بمحاولات كثيرة لقتل الرسولﷺ قبل بعثته، لأنهم عرفوا صفته أو صفاته وولادته من خلال المعلومات التي نقلوها عن أنبيائهم، ظناً منهم أن الله تعالى غير قادر على حماية الرسول الأكرمﷺ وكل من يريد حمايته من عباده من أجل انجاز الرسالة وإلقاء الحجة على العباد.

وكان تحذير بعض المؤمنين من النصارى وهم على دين المسيح عيسىعليه السلام، وارداً في كتب التراث الإسلامي، فقد حذر النجاشي وبعض الرهبان جده عبد المطلب وعمه أبا طالب من محاولات اليهود في قتل محمدﷺ قبل بعثته من أجل أن لا تنتقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم، ولكن إرادة الله عز وجل كانت هي النافذة في الأحداث ففشلت كل محاولاتهم فعاش محمدﷺ كما أراد الله تعالى له، وجرت محاولات أخرى لقتله بالسم بعد بعثته مع أصحابه،

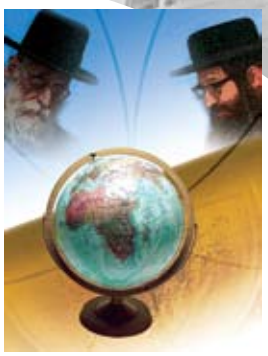

ولكنها لم تؤثر فيه بإذن الله تعالى، فأنجز الرسول محمد ﷺ رسالته وما كلفه به ربه حتى أكمل على يديه الدين وأتم نعمته ورضي الإسلام لهم ديناً فدخل الناس في الإسلام أفواجاً، فعند ذلك، كما في الروايات، أثر في جسمه الطاهر السم الذي تناوله مع أصحابه مخلوطاً باللحم والذي حصل أثناء وليمة لبنت أحد اليهود.

هكذا فشلت محاولة ثالثة من محاولات بني إسرائيل في تغيير الأحداث وفقاً لما قضاه الله تعالى وعلموا بذلك من قبل أنبيائهم بما أوحى الله تعالى إليهم.

وقد قضى الله تعالى على بني إسرائيل أن يوفر لهم شروط القوة والتمكين والقدرة مرتين ففسدوا في الأرض من خلالهما:

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (سورة الإسراء:٤).

وقد وقعت مرحلة الإفساد الأولى فبعث إليهم بختنصر من بابل لينتقم منهم، ثم وعدهم أن يرد الكرة عليهم ويمددهم بأموال وبنين وخيرهم بين الإحسان والإساءة:

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (سورة الإسراء:٦).

وقد حذرهم من إعادة الإفساد في الأرض بعد التمكين الثاني:

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (سورة الإسراء:٧).

وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (سورة الإسراء:٨).

والظاهر إن دولة (إسرائيل) الحالية على أرض فلسطين تمثل التمكين الثاني لهم الذي وعد الله تعالى أن يمدهم بأسباب القوة والتمكين، ورغم الخيار الإلهي والتحذير من إعادة الإفساد في الأرض، وبالرغم من التجارب التي مرت بهم أو معهم عبر تاريخهم الطويل، إلا أنهم عادوا للإفساد ظناً منهم إن ذلك سيبقى على دولتهم ونفوذهم وقوتهم متناسين بذلك مصير فرعون مصر الذي لحق بهم إلى البحر فأغرقه الله تعالى مع جنوده وأنجاهم بقيادة نبيهم موسى عليه السلام بما خرق النظام الطبيعي لاستقرار المياه ولا راد لقضائه ولا قوة إلا قوته تعالى.

إن بني إسرائيل وقوى الاستكبار العالمي الذين ساعدوا على تأسيس وإنشاء وإدامة وتفوق دولة (إسرائيل) ودعمها، إنما هم أناس لا تنفع معهم عبر أحداث الماضي وتجارب السابقين ومصارع الطغاة ومصير المستكبرين.

فقد خير الله تعالى بني إسرائيل بين الإحسان لأنفسهم والإساءة لها

في التمكين الثاني، إلا أنهم اختاروا الإساءة لأنفسهم بالإفساد في الأرض وقتل الأبرياء من سكان فلسطين والدول المجاورة واستعمال كل أسباب النفوذ والقوة والقدر والخداع و(الإرهاب المنظم)، وقد أكد الله عز وجل لهم إن قتل النفس بغير نفس والفساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ولكن الكثير منهم مسرفون:

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (سورة المائدة:٣٢).

وقد تعلم بعض المسلمين؛ أو بالأحرى المنافقين والذين في قلوبهم مرض من بني إسرائيل منهجهم في الإرهاب والإفساد في الأرض، فعمدوا إلى قتل الأبرياء الذين حرم الله قتلهم في كل شرائعه السماوية التي أنزلها على أنبيائه ورسله عليهم السلام، خصوصاً في العراق، ظناً منهم كما ظن بنو إسرائيل أن الله تعالى غير قادر على إنجاز وعده بنصره المؤمنين المستضعفين:

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (سورة القصص:٥).

فلماذا يصر بنو إسرائيل وأمثالهم من الإرهابيين ومن يدعمهم ويسند الإرهاب على أن يكونوا في صفوف المستكبرين وليعلموا أن العاقبة كما وعد الله تعالى، للذين استضعفوا في الأرض فهم قادة المستقبل؟ وإذا أراد المشككون من قادة إسرائيل والمستكبرين والمنافقين أمثلة على صدق وعده تعالى فأوضحها انتصار الروم بعد هزيمتهم أمام الفرس وكانت كل الدلائل تشير إلى هزيمة الروم مرة أخرى، ولكن صدق الله ورسوله فتحقق انتصار الروم بعد نزول الآية الشريفة:

غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ (سورة الروم:٢-٤).

وللتذكير فقد حدد الله تعالى عقوبة وآثار قتل المؤمنين خطأ وعمداً:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا... (سورة النساء:٩٢).

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (سورة النساء:٩٣).

وليس لأحد أن يزكي نفسه ويتهم الآخرين، بل الله تعالى يزكي الأنفس: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلْ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) (سورة النساء: ٤٩).

وهكذا سيفشل بنو إسرائيل والمنافقون في تحقيق أهدافهم كما فشل أسلافهم فوعد الله حق، ولعل في ذلك موعظة لمن أراد النجاة. ومن الله التوفيق ■

التسويق الشبكي

إنجاز ملموس من إنجازات العولمة

• المهندس حيدر النجفي
كلية الهندسة/ جامعة الكوفة

ينابيع بعد انهيار الإتحاد السوفيتي واختلال المعادلة الثنائية القطب برز نظام عالمي تصدى لقيادته سيادة القطب الواحد المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية، ومع هذا التصدي والبروز ظهرت في الأفق العالمي ملامح لظواهر جديدة أخذت طروحاتها الفكرية مع الواقع الجديد الذي نادت به الولايات المتحدة.

ولعل أهم هذه الظواهر، ظاهرة العولمة (Globalization) أو كمايحب الفرنسيون أن يطلقوا عليها (Lamondialistation)، وقد كثر الحديث حول هذه الظاهرة فأخذت تكتسح الصحف والمجلات، ثم تفردت بمؤلفات ضخمة ناقشت أصول هذه الظاهرة، فالبعض أكد أن جذورها ممتدة في أعماق التاريخ، مؤيداً قوله بعدة أدلة وبراهين والبعض الآخر جعلها إفرازاً للوضع العالمي الجديد، نادت وبشرت به الثورة التقنية والمعلوماتية التي شهدها العالم في السنوات الأخيرة.

ومثل أي ظاهرة أخرى، لاقت العولمة ثلاثة آراء، فبين مؤيد لها وآخر رافض وآخر محايد ينتظر ما سيؤول إليه واقع العولمة نظرياً وعملياً.

وقد اختلفت المفاهيم المطروحة التي حاولت تحديد هذه الظاهرة. حيث يرى (برهان غليون) إنها (ديناميكية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعملية للحضارة).

أما الأستاذ إبراهيم العيسوي فيرى أن جوهر العولمة يتمثل في (سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني).

أما الدكتور محمد الأطرش فيعرف العولمة قائلاً أنها (اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق، وتالياً خضوع العالم لقوى السوق العالمية، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات

الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات).

وقد اختلفت التعريفات الخاصة بالعولمة باختلاف الباحثين، فكل يرى من منظاره الخاص تعريفاً لهذه الظاهرة إلا أنه يبقى التعريف قاصراً عن الشمولية والإحاطة بالمفهوم الأساسي لها، والتعريف الأكثر تناولاً يمكن طرحه على أنها (تصور لعالم أشبه بقرية صغيرة، تنتقل فيها المعلومات والبضائع بانسيابية كاملة، اختصاراً للزمان والمكان).

وبالرغم من كثرة واختلاف الأطروحات حول هذه الظاهرة إلا أننا نلاحظ آثاراً جلية لها في واقعنا المعاصر فالإنترنت والفضائيات و... الخ، كلها نتاجات ملموسة لا يختلف فيها اثنان على أنها من إفرازات العولمة.

واليوم برز نوع جديد من أنواع التجارة عبر الإنترنت، وهو علامة جديدة تصب في صالح إيجابيات العولمة، ما يدعى بالتسوق الشبكي (Network Marketing)، والذي طرح سابقاً كمفهوم تجاري عام، وقد تم استخدامه حالياً على نطاق واسع كما قلنا عبر الإنترنت.

فقد اعتمدته شركات عديدة كأسلوب تسويقي ناجح يعتمد على الزبائن في ترويج المنتوجات وبيعها، واعتبارهم عملاء يتقاضون أجوراً عن خدماتهم والأساس في الفكرة ينصب على إلغاء سلسلة مرور البضائع من المُصنّع إلى المُستهلك واختصارها بالمُصنّع والمُستهلك حصرياً، حيث يتم شراء المنتوج الذي عُرض على شبكة الإنترنت بواسطة الزبون، ثم يُعتمد الزبون نفسه في ترويج المنتوج، حيث يُمنح وكالة مع شرائه المنتج، يتمتع بموجبها بصفة وكيل الشركة، يتقاضى عن كل زبون يكسبه ويقنعه بشراء المنتج أجراً مالياً يضاف إلى رصيده الذي يتزامن فتحه مع منحه الوكالة.

يسعى الزبون (الوكيل) إلى زيادة أرباحه من خلال إقناع أكبر عدد من الزبائن، حيث يكوّن ما تسمى (بالشجرة)، فيضم زبوناً عن يمينه، وآخر عن شماله، كما يضم كل واحد من الزبونين، شخصين عن يمينه وشماله وهكذا إلى أن تزداد التفرعات الثنائية لكل عميل، عندها تتكون الشجرة ويكون المؤسس لها هو المصدر، وصاحب الربح الأكبر حيث تزداد أرباحه التراكمية لكل عنصر يضاف إلى الشجرة.

وفي العراق أخذت هذه الظاهرة تزداد يوماً بعد يوم، إذ أن الربح الملموس والذي لا يتطلب سوى مبلغ يقتني عن طريقه منتوج الشركة وبذلك وكما أسلفنا يُمنح وكالتها ثم يبدأ مباشرة بعقد الجلسات معتمداً على أسلوبه الترويجي وتبيان الأرباح الضخمة التي ستكون من حصة المشتري، إلا أن الكثير من الذين يرغبون بالانخراط ضمن هذه الظاهرة، أعربوا عن ترددهم خشية دخولهم في المعاملات المحرمة كما يطلق عليها الشرع المقدس، إلا أن فتاوى علمائنا الأعلام، أزالت هذه الخشية، إذ اعتبروا أن هذه الأرباح المستحصلة للوكيل (الزبون) ما هي إلا دلالية بأخذها كأجر عن جهده المبذول في ترويج المنتج ويشترطوا أن يكون المنتج حلالاً، مما يجلب منفعة للفرد والمجتمع ■

أجوبة مسابقة العدد الثاني عشر وأسماء الفائزين

تنويه: ارتأينا في مسابقة هذا العدد جعل بعض الأجوبة الصحيحة للأسئلة جوابين لا جواب واحد، اعتماداً على اختلاف الروايات، وذلك لإتاحة فرصة أكبر أمام المشاركين للدخول في قرعة الفائزين.

السؤال الأول: ب. ٣٢ سنة.

السؤال الثاني: أ، ج. ١٨ سنة، ٢٠ سنة.

السؤال الثالث: أ، ب. ١١٥٥هـ، ١١٥٦هـ.

السؤال الرابع: ب، ج. تسعة أشخاص، عشرة أشخاص.

السؤال الخامس: ج. سورة التوحيد.

السؤال السادس: أ. السيد حيدر الحلي.

السؤال السابع: ج. محمد كاظم القزويني.

السؤال الثامن: ب. علي بن محمد الحمّاني.

السؤال التاسع: أ، ب. جعفر بن أبي طالب، زيد بن حارثة.

الفائزة بالجائزة الأولى: زهرة عبدالأمير عبدالخالق/ البصرة ـ شط العرب.

الفائز بالجائزة الثانية: مشتاق طالب كريم/ كربلاء ـ باب الطاق.

الفائز بالجائزة الثالثة: محمد جعفر محمود/ النجف الأشرف ـ محلة البراق.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ لو شق عن قلبي يرى وسطه
سطران قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب
وحب أهل البيت في جانب

بيتان من نظم الصاحب بن عباد الوزير الشيعي المعروف. فأين دفن؟

أ ـ الري
ب ـ أصفهان
ج ـ خراسان

٢ كنيتها أم أيمن، كانت حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله ورثها من أمه، ثم أعتقها وبقيت ملازمة له طيلة حياته، شهدت لفاطمة الزهراء عليها السلام في حقها بفدك. فمن اسمها؟

أ ـ بركة بنت ثعلبة الحبشية
ب ـ أم حرملة بنت عبد الأسود
ج ـ ريحانة بنت زيد بن عمرو

٣ سعد بن عبادة سيد الخزرج كان نقيب بني ساعدة وصاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، مات بحوران من أرض الشام. ففي أي سنة توفي؟

أ ـ سنة ١٤ هـ
ب ـ سنة ١٦ هـ
ج ـ سنة ١٨ هـ

٤ من أعلام الطائفة المحقة، كان عصره حافلاً بالازدهار العلمي ولأهمية دوره في المؤسسة الدينية فقد اشتهر بألقاب عدة منها لقب (آية الله) والذي لم يعهد إطلاقه على غيره من قبل. فمن يكون؟

أ ـ الشيخ المفيد
ب ـ العلامة الحلي
ج ـ المقداد السيوري

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (١٤) شهر رمضان ـ شوال ١٤٢٧هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ الشيخ عبدالكريم الزنجاني من علماء الشيعة وكان له ولع بالفلسفة فكتب عن ابن سينا والكندي، وصفه البعض بسمة.. فما هي تلك السمة؟

أ ـ فيلسوف الشرق
ب ـ فيلسوف الإسلام
ج ـ شيخ الفلاسفة

٦ في مخطط بناء الكعبة أين يقع الحجر الأسود؟

أ ـ في الركن الجنوبي الشرقي
ب ـ في الركن الشمالي الشرقي
ج ـ في الركن الجنوبي الغربي

٧ صحابي جليل كنيته أبو القاسم، من الرواة الفقهاء أصحاب الصادقين عليهما السلام. روى أن الصادق إذا رآه: (وبشر المخبتين) فمن يكون؟

أ ـ حمران بن أعين
ب ـ الفضيل بن يسار
ج ـ عبد الله بن أبي يعفور

٨ أراد الإمام الصادق عليه السلام أن يموه على بني العباس في شخصية الإمام الذي يليه، فأسند وصيته لعدد من الأشخاص. فكم كان العدد؟

أ ـ ثلاثة أشخاص
ب ـ أربعة أشخاص
ج ـ خمسة أشخاص

٩ سورة مباركة من سور القرآن الكريم لا وجود لحرف الميم فيها. فما اسمها؟

أ ـ سورة الكوثر
ب ـ سورة الفلق
ج ـ سورة الناس

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ذوالحجة/١٤٢٧هـ.**